14 me Année No. 699

Lundi — 25 — 11 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٩ « القاهرة في يوم الإثنين أول محرم سنة ١٣٦٦ — ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الاسلام والنظام العالمي الجديد

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

هذه هي الدعوة الثانية من الهند في هذا الموضوع ، وهو موضوع الإسلام وأحكامه التي تتكفل للعالم بنظام شامل يحل معضلاته ويوثق الروابط بين أممه ويبسط فيه الطمأنينة والسلام

وقد كتبت في « الرسالة » عن الدعوة الأولى لصاحبها المولى محمد علي الكاتب الهندي المشهور ومترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية

وهذه الدعوة الثانية هي خطاب ألقاه ميرزا بشير الدين محمود أحمد في الاجتماع السنوي للجماعة الأحمدية بقاديان سنة ١٩٤٢ ، ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية وعنيت الجماعة بنشره قبل بضعة شهور

ويبدو من مطالعة هـذا الخطاب أن صاحبه يوجه النظام العالمي إلى حل مشكلة الفقر أو مشكلة الثروة وتوزيعها بين أمم العالم وأفراده ، وأنه بغير شك على اطلاع واف محيط بالأنظمة الحديثة التي عولجت بها هذه المشكلة ، وهي نظام الفاشية ونظام النازية ونظام الشيوعية ، وبعض النظم الديمقراطية

ولكنه يعتقد بحق أن المشكلة لا تحل على أيدي الساسة وزعماء الأحزاب والحكومات ، وأنه لامناص من القوة الروحية في حل أمثال هذه المشكلات ، لأن الحل الشامل لكل مشكلة إنسانية عامة يتناول الإنسان كله ولا يهمل فيه الباعث الأكبر على الطمأنينة والحماسة للخير والصلاح ، وهو باعث العقيدة والإيمان .

وقد عرض للأديان الكبرى القائمة في الهند خاصة — والعالم عامة — من حيث علاقتها بهذه المشكلة وتدبير الحلول التي تزود العالم بنظام جديد أفضل من نظامه المغضوب عليه ، فأتى بالأدلة الكثيرة على انفراد الإسلام بينها بمزية الإصلاح وتعميمه بين جميع الأجناس والطبقات فيما مضى وفي هذا الزمن الحديث

فالديانات الهندية تعلم الإنسان أن تفاوت الطبقات قضاء من الأزل لا نجاة منه لمخلوق ، لأن الأرواح تنتقل من جسد إلى جسد جزاء لها على ما جنت في حياتها السابقة من السيئات والذنوب ، فهي تخرج إلى الدنيا بنصيب محتوم لا يقبل التبديل ولا يحسن تبديله إذا استطيع — ولن يستطاع — لأنه هو سبيل التكفير والارتفاع من حياة إلى حياة . وقد جاء في قوانين مانو : « إن الفرد من طبقة السودرا لا يجمع الثراء ولو قدر عليه ، لأن ثراءه يؤلم نفوس البرهميين » . فإذا ادخر بعض المال لحاجاته التي تزيد على القوت والكساء حق للحكومة أن تجرده من ماله وتتركه للفاقة والكفاف ، وهكذا تقوم الفواصل بين الطبقات المختلفة ، وهي طبقات البرهمان والكشاتريا والفاشيا والسودرا وهم أخس الطبقات .

وتقضي القوانين البرهمية بسداد الديون بالعمل إذا كان الدائن والمدين من طبقة واحدة . فأما إذا كان المدين من طبقة أعلى من

طبقة الدائن فلا سداد إلا بالنقد أو العين متى تيسر ، ولا إلزام بالسداد قبل التيسير .

وتجب التفرقة بين الأخوة فى حقوق الميراث إذا اختلفت أمهاتهم فى الطبقة الاجتماعية . فيقسم الميراث كله إلى عشر حصص متساوية ، ويعطى ابن البرهمانية أربعاً وابن الكشاترية ثلاثاً وابن الفاشية اثنتين وابن السودرا حصة واحدة على قدر ما يجوزله من الثراء .

ومن حق البرهمان أن يستولى على ملك خادمه من السودرا لأنه وما ملك فى طاعة مولاه .

فاذا كان الإصلاح العالمى محتاجاً إلى حماسة العقيدة ، وكانت هذه عقيدة المؤمنين بالديانات الهندية فلا رجاء فيها لعلاج مشكلة الفقر وإنصاف الطبقات المظلومة والتقريب بين الناس فى حظوظ الحياة .

أما الإسرائيلية فهى بأحكامها المنصوص عليها فى كتاب العهد القديم تخص اليهود ولا تعم الأمم جميعاً بالمساواة . فحرام على اليهودى أن يقرض يهودياً بالربا ولا يحرم عليه أن يتقاضى الربا المضاعف من أبناء الأمم الأخرى . ولا يجوز استرقاق اليهودى طول حياته ولا تزيد مدته فى الرق على سبع سنوات ، ولكن استرقاق العبيد فى الأمم الأخرى جائز فى كل حال ولا حرج عليه . وفى الإصحاح العشرين من سفر التثنية يقول العهد القديم لشعب إسرائيل : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك .. وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ... » .

هذه هى حدود المعاملة بين المؤمنين بالعهد القديم وسائر بنى الإنسان ، فإذا سادت هذه المبادئ فالأمم كلها عبيد مسخرة وأبناء إسرائيل وحدهم هم أصحاب السيادة والثراء .

والمسيحية كما هو معلوم لم تعرض لمسائل القانون ومسائل السياسة أو الاجتماع ، ولهذا كانت دعوتها إلى السلام من الدعوات التى تصطدم بالواقع وتتمخض عن حروب لا تنقطع وحزازات بين الطبقات لا يهدأ لها أوار كما نرى فى تاريخ أوربة الحديث والقديم .

لكن الإسلام يتناول مسائل الاجتماع ومسائل العلاقات بين المحاربين والمسالمين . فالمسلم يقاتل إذا ظلم وأخرج من دياره ، ويأمره كتابه إذا ملك الأرض أن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ولا يجيز الإسلام للنبى أن يكون له أسرى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » .

ثم هو يستحب للمسلم المن أو الفداء « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق . فأما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

ومن بقى فى الأسر وطلب المكاتبة فقبول طلبه واجب على مولاه « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ولا مطمع فى معاملة بين الشعوب المتعادية أعدل من هذه المعاملة وأقرب منها إلى إزالة العداء والبغضاء . فأما المعاملة بين المسالمين فهى كفيلة بإنصاف جميع الطبقات ؛ لأن الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة ولا يتفاضلون بالمظاهر والأنساب . وينكر الإسلام الجور فى توزيع الثروة فلا يجيز لأحد أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة . ومن جمع مالا وجب عليه أن يؤدى زكاته للفقراء والمساكين ومصالح الجماعة بأسرها ، وعليه أن يعين من يطلب منه العون قرضاً حسناً لا مضاعفة فيه للربا ولا تجاوز فيه لمكاسب البيع والشراء ، فلا تطفيف للكيل ولا مغالاة بالربح ولا مماكسة ولا خداع ، وكل يجزى بعمله وسعيه دون

إيثار لأحد على أحد فى خيرات الأرض جميعاً ... « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » فلا يزعمن إنسان أو جمع من الناس أنه أحق بالأرض من سواه .

* * *

فالنظام العالمى لا يعتمد على عقيدة أصلح لتعميمه وحض النفوس عليه من العقيدة الإسلامية ، وقد أجاز الإسلام الوصية وندب لها المسلمين فى بعض الحالات . فان قصرت موارد الزكاة فوارد الوصية لا تضيق بما يطلب منها ، لأنها تشمل جميع الأموال والعروض ، وقد حث « الميرزا أحمد القاديانى » أتباعه على التوصية بمقدار من ثرواتهم يتراوح بين عشرها وثلثها ، للانفاق منها على الدعوة والاصلاح .

* * *

ولم يقصر المؤلف — أو صاحب الخطاب — مقابلاته ومقارناته على العقائد الدينية التى أجملنا الاشارة إليها فيما أسلفناه ؛ ولكنه خصها بالعناية لأن العقيدة كما قال هى أمل الإصلاح الوحيد ، ونظر معها إلى النظم السياسية أو الاجتماعية فإذا هى قاصرة عن بغيتها من الوجهة العملية والوجهة الروحية على السواء .

فالفاشية — ومثلها النازية — لا تؤسس نظاماً عالمياً مكفول الدوام لأنها تقوم على تفضيل الجنس والعصبية القومية . فلا مكان فيها لأمم العالم غير الخضوع والتسليم لجنس الذى يزعمون له حق السيادة والرجحان .

والشيوعية تعطل البواعث الفردية وتسلب النفس حوافز الاجتهاد وتجعل الحياة مادة فى مادة لا يتخللها قبس من عالم الروح ، وتأخذ للدولة كل ما زاد من ثمرات الأفراد ، ولم تفلح مع هذا فى إنصاف العاملين ، لأن السادة فى روسيا الشيوعية طبقات فوق طبقات فى الترف والمتاع ، وقد روى الصحفيون أن وليمة الدولة للمستر ويلكى مدت فيها ستون صحفة من ألوان الطعام ، فهل يجعلون هذه المائدة مثلا يقتدى به المقتدون ؟ أو هى بذخ مقصور على فريق من الضيوف دون فريق ؟

* * *

والترجمة الانجليزية التى اشتملت على تفصيل هذه الخلاصة تقع فى مائة صفحة من القطع المتوسط وبعض صفحات ، ونحسبها صيحة لا تذهب فى الهواء إذا انتشرت بين قراء الانجليزية الأوربيين والأمريكيين بل الهنديين والشرقيين ، ولكننا نقرأ فيها أن مؤلفها يلقب بأمير المؤمنين وأنه الخليفة الثانى للمسيح الموعود ، ومعنى ذلك أنه من فريق القاديانية الذين يدينون برسالة « مسيحية » أو مهدية للقاديانى ولا يكتفون له بوصف الاجتهاد كما اكتفى المولى محمد على وأصحابه من الهنود المسلمين . فنعجب لهذه الألقاب التى تحيط الدعوة بين المسلمين أنفسهم بأسباب الحبوط والإنكار ، ونسأل : ما هو موضع هذه المسيحية الجديدة أو هذه الخلافة إذا كانت الحجج التى ساقها المؤلف كلها من المراجع الاسلامية الأولى ولا زيادة عليها من وحى جديد ؟

فخير للدعوة أن تقصى عنها هذه الألقاب التى لا تزيدها قوة وتأخذ منها كثيراً من قوتها بين المسلمين أنفسهم ، فضلا عن غير المسلمين .

عباس محمود العقاد

وفاة الملك الظاهر ودفنه

للأستاذ أحمد رمزي بك

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » (سورة فصلت الآية ٣٠)

إيه أيتها الليلة الظلماء القاتمة السواد لماذا فجرك يتأنى ويتمهل ؟ وأين صبح نهارك ؟ لماذا لايشرق ؟

وأنت ياموكب الحزن الشامل مالك لاتزال مرابطاً بأشباحك السود على أبراج قلعة دمشق وعلى جدران القصر الأبلق ؟

أين الطبول والدبادب التى كانت تقرع على أسوار الحصون والقلاع ؟

أين آلات الحرب والكراع التى كانت تدك معاقل الأفرنج ما لها قد سكتت ؟

أين الأعلام وأين السيوف ؟ أتراها قد نكست وأغمدت لدى مصرع الملك الشهيد الراحل، وتنزلت أرواح الشهداء من الأمراء والجند بأمر الرحمن تحمل أرياح الجنة إلى قلعة دمشق تحيي بطل الفتوح وسيد المعارك الذى قادها إلى النصر والشهادة .

إنه يرقد بداخل تابوت تراه معلقاً وسط قاعة من قاعات الجند . إنه الملك الظاهر الذى لم تكن تحويه الدنيا بأسرها .

***

فى ساعة بعد الزوال من يوم الخميس ١٧ المحرم سنة ٦٧٦ هـ (يولية ١٢٧٧ ميلادية) فى حجرة من حجرات القصر الأبلق ومكانه اليوم التكية السليمانية بمدينة دمشق فاضت روح الملك الظاهر أبو الفتوح بيبرس بعد مرض بسيط لم يمهله غير أيام معدودات ، وبموته انتهت حياة أعظم ملوك مصر والشام طراً فى عصرها الإسلامى العربى المجيد لا بل فى جميع أعصر التاريخ .

وكان السلطان العظيم قد دخل دمشق على رأس جيشه الظافر عائداً من الجهاد عن طريق أنطاكية يحمل على جبينه غار النصر فى آخر حملة قادها إلى أواسط آسيا الصغرى حيث حارب وقاتل وقارع وانتصر ، ودخل مدينة قيصرية ، وخطب باسمه على منابر أرض الروم بعد أن كسر التتار هناك وشتت شملهم ، وحرر بلاد المسلمين من طغيانهم . ويقول مؤلف سيرته القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر :

« دخل دمشق معتقداً أن الدنيا فى يده قد حصلت ، وأن سعده استخلص له الأيام والليالى والمالك شرقاً وغرباً » ، ولكن المنية كانت على مقربة منه كما قال تعالى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » سورة الأنعام .

وكان رحمة الله ورضوانه عليه بطلا من أبطال الإسلام أمضى العمر مجاهداً فى سبيل الله ذائداً عن دينه وصفه المعاصرون فقالوا « كان طويل القامة أسمر اللون أزرق العينين أشمر اللحية جهورى الصوت شديد الهيبة تخضع له أسود الرجال وكان خفيف الركاب سريع الحركة لا يستقر فى جهة حتى يظهر فى أخرى » . يوماً بمصر ويوماً بالحجاز ويوماً بالشآم ويوماً فى قرى حلب كان رجلا من رجال الله يحمل بين جنبيه قلباً لا يعرف المخاوف ولا ترهبه الأخطار ، وكان بعيد الهمة عظيم الآمال يقدم بطبعه على عظائم الأمور ويرحب بالمجازفة ومقارعة الأخطار ، يواجهها وهو ثابت مطمئن ويدفعها بالهدوء الذى يلازم النفس المطمئنة ذات النظرة النافذة التى لا تحيد عن الهدف ولا ترتد ، والتى تشعر بأن اصاحبها من القوى الكامنة والظاهرة ما يجعله يسيطر على حوادث الزمن ، وأن فيه من صفات الرجولة ما يجعله بطلا من أبطال العالم ، وأنها تشعرك بأن لوازم القيادة متأصلة فيه ، فهى التى أوصلته أن يتحكم على نفسه ويقودها كما شاء ثم مكنته أن قاد الناس معه .

كان من أبطال المسلمين المؤمنين بعظمة الإسلام لا ينفك يفكر فيه ويخفق قلبه له ، فهو من أولئك الذين إذا قاموا بعمل عظيم وضعوا كل شىء فى سبيل تحقيقه والوصول إليه . هؤلاء ليس لهم أن يختاروا من الأمور أوسطها وأسهلها أو يقفوا بين طريقين مترددين وجلين ؛ لم يكن من أولئك الذين تشغلهم أمور الدنيا فترى الواحد يوزع جهوده ذات اليمين وذات اليسار . بل

كان من الفريق الذى يضع عقله وروحه وما يملك فى إتمام ما بدأ فيه ويحشد عواطفه وغرائزه ، فى تأكيد إرادته نحو الغاية التى ينشدها ، فكان أن وصل بالإيمان والثقة إلى أن تملكته نفحة من تلك النفحات الدافعة التى يُسبغها المولى على من اختار من عباده ، فأصبحت هذه النفحة غريزة فى خُلُقه وقوة فى نفسه ودمه ، تحركه للعمل والجهاد فى سبيل الله وخدمة دينه ونصرة كلمته ، فغدا بهذه النفحة قوة من قوى الخالق جل شأنه « إنى لهذا أقتك لكى أرى قوتى فيك » .

***

عجب الناس له : إذ رأوه ملكا على أعظم ما تكون الملوك عليه هيبة ووقاراً ، وقائداً على أعظم ما يكون عليه القواد أمام الأخطار والمعارك ، ساس الملك وخاض المعارك فأدهش الدنيا بملكه وعظمته ، وأدهشها بفتوحاته وانتصاراته ومواقعه الحاسمة الفاصلة . حكم فعدل ، وخُطب باسمه فى مشارق الأرض ومغاربها وأعاد الخلافة العباسية ، وقاد الجند فى الحروب فما من معركة دخلها ضد الفرنج أو التتار إلا وانتزع النصر من أيدى أعدائه ، فحطم قلاعهم وحصونهم وساق الملوك والأمراء والقادة أسرى بين يديه . لهذا بقيت صورة الملك الظاهر حيّة خلال الأعصر ، ولهذا صاحبت أعماله السنين ، وبقيت خالدة مع الزمن راسخة فى قلوب الناس جيلا بعد جيل يتناقلها الخلف عن السلف ويسمر بسيرته الرجال .

ألم تر السامعين لسيرته . ما الذى يجمعهم حولها ويجعلهم يأنسون بها ؟ إنهم يلتمسون من عزيمته وعزمه ما يقوى عزيمتهم وعزمهم ، إنهم يرون فى صبره وإقدامه وشجاعته ما يخفف من وقع الأحداث والنوائب عليهم ، ولذلك عاشت سيرته وأعماله وأصبحت أعماله مضرب الأمثال ، وأطلت شخصيته من وراء الأجيال والقرون تحدث الناس بدروس البطولة والمجد .

***

وفى ليلة وفاته كتب مؤلف سيرته : « قبض الله روحه الزكية فرجعت إلى ربها راضية مرضية ، وكأن نفوس العالم كانت نفساً ، وأنزل الله السكينة فلا تسمع إلا همساً ، واستصحب نهايته السكوت ، وخادعت العقول نفسها بين مصدق ومكذب ، وسكتت الشفاه والألسنة ، وتناومت النفوس من غير نوم ولاسنة ، وأسدلت ستور المهابة ، وأفرد بقاعة من القلعة يوماً إليه بالترحم والسلام ، ولا يزوره غير الملائكة الكرام ، وكانت مدة مرضه قدّس الله روحه ثلاثة عشر يوماً ، وهى مدة مرض الشهيد صلاح الدين رحمهما الله تعالى » .

وفى قاعة من بيوت الجند من المماليك البحرية بقلعة دمشق وضع جثمان الملك الظاهر فى تابوت بعد أن تولى غسله وتصبيره وتكفينه خادمه الخاص الشجاع عنبر ، وساعده المؤذن كمال الدين على المنيحى بحضور الأمير عز الدين الافرم ، وبقى التابوت معلقاً حتى شهر رجب من تلك السنة حينما جاء وفد من القاهرة لدفنه بتربته التى أنشئت بالمدرسة الظاهرية . ذكر صاحب البداية والنهاية : أن العمارة بدأت فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى فى مكان الدار المجاورة لحمام العقيقى تجاه الدرسة العادلية ووضعت أسس التربة فى خامس جمادى الآخرة .

عندئذ أوفد ابنه الملك السعيد : الأمير علم الدين سنجر والطواشى صفى الدين جوهر الهندى فوصلا من مصر إلى دمشق ، ولما كانت ليلة الجمعة الخامس عشر من رجب سنة ٦٧٦ حمل نعش الملك الظاهر من القلعة ليلا على أعناق الرجال :

خرجوا به فوق الرقاب وساروا تهديهم من وجهه الأنوار
وسروا به ليلا ليخفوا قبره والليل لا تخفى به الأقمار
ثم ساروا نحو الثرى بعبيره وقبوره الأسماع والأبصار

وسارت جنازته إلى صحن الجامع الأموى للصلاة عليه ، ولما انتصف الليل خرجوا به يتقدمهم نائب السلطنة المصرية بالشام الأمير عز الدين أيدمر ومعه أمراء جند الشام وتوجهوا به إلى المدرسة الظاهرية ثم إلى التربة التى أنشئت له ، وهناك ألحده قاضى القضاة عز الدين بن الصايغ . ولما أرقد رقدته النهائية بدأ القراء مستفتحين بالآية الكريمة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » ، ولقد زرت هذا الضريح ووصفته على حالته بعدد « الرسالة » ٤٧٠ المؤرخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وكنت

لا أدخل دمشق إلا جعلت من برنامجى زيارة هذا القبر الطاهر والوقوف أمامه أرتل قول القائل نقلا عن ابن الفرات :

صاح هذا ضريحه بين جفنيّ … فزوروا من كل فج عميق

وهو القائل أيضاً : « إن الأسف تجدّد بدفنه فكأن العالم فجعوا بأبيهم الشفوق ، وقضوا حق التعزية وأنى يقضى أحد ما له من الحقوق » .

ولقد تقلبت بى الأيام وتنقلت بين بلدان كثيرة وأتيت من كل فج عميق لأجدد عهد الإخلاص أمام الملك الظاهر أعظم ملوك الإسلام المجاهدين المرابطين ، فما وجدت بقعة أوحت إلىّ وملأت روحى مثل هذه البقعة وقبر صلاح الدين . لقد جعلانى أومن بحق الوطن الخالد وعظمة مصر قلب العروبة والإسلام وأوحت كل منهما إلىّ بالدوافع النفسية للعمل وعرفتنى مكانة بلادى فى التاريخ إن القوى الكامنة فيها لا تقهر وإنها سوف تظهر للعالم وتكتب فى تاريخ العرب والمسلمين صفحة جديدة ، وستبعث بعثاً جديداً بإذن الله .

إلى هذه التربة انتهى المسير بجثمانه الطاهر ليرقد رقدته الأبدية إلى يوم البعث إذ هناك يرقد بطل المنصورة وعين جالوت وصاحب الفتوحات الكبرى : قيصرية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وحصن الأكراد ، وغيرها من البلاد والحصون والقلاع ، صاحب مصر والشام وبرقة والحجاز والنوب وأرض الفرات :

تدبر الملك من مصر إلى يمن … إلى العراق وأرض الروم والنوبى

ولن أترك الظاهرية من غير أن أشير إلى ما ذكره اليونينى فى تاريخه عن أول درس للشريعة ألقى بها بعد بنائها إذ قال : « وفى يوم الأربعاء ثالث عشر صفر كان أول درس بها ترأسه نائب السلطنة المصرية بالشام ، وكان درساً حافلا حضره القضاة وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود بن الفارانى ، ومدرس الحنفية صدر الدين سليمان ، ولما توفى تولى بعده حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى الذى كان قاضياً بمدينة ملطية » .

ما قد عشت يوماً من أيام الملك الظاهر فانظر أثابك الله إلى آثار ذلك العهد وإلى علمائه وتعجب لحالنا اليوم وما نحن فيه .

فهل فكّر أهل مصر والشام فى الظاهرية والملك العظيم المدفون بداخلها ؟ هل أعطيت له مكانة البطولة التى يستحقها فى التاريخ ؟ انظر إلى الحجر الرخامى على الباب تجده من عمل أحد الولاة بدمشق فيه شعر ركيك بالعربية وبالتركية يكيل المدح ، وينسى واضعه أن يذكر صاحب المدرسة والتربة بكلمة واحدة . ومن نكد الدنيا أن الوقفية على المدرسة الظاهرية منقوشة على أحجار البناء على الباب الكبير ، ولكن هذا لم يمنع الولاة والغاصبين من أن يحرموا الظاهرية من القرى الموقوفة على دروس الدين . إنى أستحى من نفسى وأخشى أن يقرأنى العالم إذا ذكرت للناس أسماء الضياع وأسماء من اغتصبها : رحم الله الإسلام والمسلمين ووقانا من شر أعمالنا .

قضى وله على الدنيا أيادٍ … يصح بها من الزمن السقام

فراح من الملائك فى صفوف … لهم من حول تربته زحام

أحمد رمزي

إلى وزارة المعارف :

وعلى هذا فنحن ندور ...

للأستاذ كامل السيد شاهين

وها هو ذا العام الدراسي قد ابتدأ ، بعد أن تحيفته عوامل وأسباب نستكره الخوض فيها ، ونرجو أن تكون عوامل خير واستعداد وتهيؤ لا عوامل تخوف واستيحاش وإجفال .

بدأ العام الدراسي بعد شهور خمسة قضتها الوزارة في فتح المدارس وتنظيم المصروفات ، وإجراء التنقلات والترقيات ، وغير هذا مما هو من نصيب المدرس أوالناظر أوالمفتش أوالمراقب، وكلهم — بحمد الله — يقظ ، مفتح العين ، مترقب عامل دءوب ، متنسم لأخبار الترقيات والعلاوات ، متخصص في تطبيق « الكادر » سباق إلى ذوى الحظوة القريبين ليقفز درجة أو ينال مرتبة .

وقد أبلت وزارة المعارف بلاءها السنوي . فنال من نال ، وحُرم من حُرم ، وبات الجميع بين مفطور القلب أسوان ، ومفتر الثغر فرحان . فأما الذي نسيته الوزارة والقوامون على تصريف شئونها ، وأغفلته شر إغفال ، ولم يذكّرها به مذكر ، فذهب ضياعا وراح هدرا ، فهو حق التلميذ . فللتلميذ الحق الأول لدى وزارة المعارف ؛ وليس حقه هذا في مصروفات تزاد أو تنقص ، ولا في غذاء يخفف أو يجوّد ، فالخطب في المال يسير ، وهو في الغذاء أيسر ، وما كان أمر المال أو الطعام بالأمر الذي يدخل في اختصاص وزارتنا في الصميم ، وإنما حقه في تيسير العلم ، وترقية الطرُق ، وتغذية المواهب ، وحل المشكلات ، والتجانف عن التعقيدوالالتواء. وإماطة الأشواك المربكة لعقله ، والمعوقة لفهمه ، وتنقية الكتب من الطفيليات العلمية التي تتعلق بالأصول المفيدة ، فتحد من إفادتها وتقلل من قيمتها .

وما كانت وزارة المعارف — وحاشاها — أن تلتفت إلى حق التلميذ هذا ، وكيف تلتفت وصاحب الحق قاصر ، والقوام عليه مشتغل بشأنه عنه ؟ وكيف تلتفت ، وهذه الفئة لا تفيدها ضجيجاً ولا تلفت إليها الأنظار ، ولا تخرجها إلى عالم لا يسمع إلا الفرقعة المدوية ، والانفجار الهائل ؟

وكيف تلتفت ، وهذه الفئة لا تفيدها ثناء ولا إطراء ، ولا تجر إليها إعجاباولا إكبارا ؟ وهي بمنجاة من اللّوم ، فصاحب الحق خافت الصوت لا يعرف حقه ولا يدريه !

ابتدأ العام الدراسي ونظرنا فإذا المقررات هي هي ، وإذا الكتب هي هي ، منذ عشرة أعوام حتى لكأنما سار هذا الموكب الحافل من المدرسين والمفتشين طوالها لا يلمسون عيباً ، ولا يحسون عوجاً ، ولا يرضَون عنها بديلا . وكأنما رضوا ما آتاهم المفتشون وأصفياؤهم من كُتب خالدة باقية على الزمن يتغير كل شيء ولا تتغير ، وتعيش في جو يُجر التلميذ والمدرس إليه كرهوا أم رضوا ، تعبوا أم استراحوا فإنما هو تأليف فلان أو فلان من الخيرة الأعلام الراسخي الأقدام !

يتغير كل شيء ويتطور ، وتخرب الأرض وتعمر ، وتقوم الحروب وتضع أوزارها ، وتثور الشعوب وتخمد ثورتها ، والكتب المدرسية ماضية فيما هي فيه لا تتأثر بهذه الأحداث ، وأي عيب في هذا ؟

أليست حقائق الأشياء ثابتة ما لها من زوال ؟

لقد بُحت أصواتنا — نحن المدرسين — أن أدركوا الناشئة من التلاميذ التي جنت عليها الدراسات العقيمة في الأدب والقواعد الجافة التي لا تخرج عن أنها مضيعة للوقت ومفسدة للعقل ، فقالوا : هدامون نسافون مخربون ، لجئنا لهم بالأحجار والملاط ، وقلنا لهم شيدوا ! أولا ، فأفسحوا لنا المجال لنشيد بعيدا عن تحكم المفتشين ، وعجرفة المناهج ، فأبوا إلا مضياً في الفساد ، ورجفت قلوبهم من التغيير والتجديد . وهأنذا أضع بين يدى القارئين طرفاً من هذا الموج حتى ينبهوا القائمين على شئون التعليم بوزارة المعارف ، ويردوهم إلى شيء من التبصر في أمر هذه الناشئة .

فالتلاميذ في المدارس الثانوية يدرسون أدب اللغة العربية على طريقة التلقين فالحفظ من غير تذوق الإدراك ، ولا إحاطة

بملابسات العصر المدروس ، فى كتب مضغوطة محشوة ، وكثيرا ما يلجأ المدرس إلى بترها أو مسخها أو سلخها ، فيزيد من غموضها وانبهامها ، ويخرج التلميذ بجمل فى كل شاعر أو خطيب لا تبقى معه إلا ريثما يخطها فى ورقته ثم يفرق الله بينهما أبد الآبدين .

وقد اقترحنا علاج هذه المشكلة بأن يقرر مع العصر روايات لها فائدتها فى إنارة العصر المدروس وأحواله الاجتماعية ، فرب رواية تكون أجدى على التلميذ من قراءة كتاب من موسوعات أدب اللغة .

اقترحنا أن تقرر رواية «عنترة بن شداد» مع العصر الجاهلى ، ورواية « شاعر ملك » مع العصر الأندلسى ، ورواية « فارس بنى حمدان» مع العصر الثانى العباسى ، وأن تنشأ روايات أخرى لهذا الغرض عينه يراعى فيها الإكثار من الشواهد ، والتحرى لطابع العصر ، فلذلك فائدته وجدواه ، وقلنا : إن التاريخ الأدبى مفلول بالتاريخ السياسى مقيد به ، ومع اعترافنا بقيم الأحداث السياسية ، فإننا نرى أن متابعة تاريخ الأدب للتاريخ السياسى خطوة خطوة وشبراً شبراً مما يتضمن الإسراف على حقائق الأدب وتطوره إلى أبعد مدى .

وقلنا : إن الدراسات النثرية فى الأدب لم تأخذ حظها وافيا من الدراسة وأن الشعراء خطوا خطوة واسعة ، على حين أهمل أمر كثير من الكتاب . ولو أننا تتبعنا الأعمدة التى وضعها الكاتبون فى أدب اللغة لتطور الكتابة لوجدناهم قد راعوا ناحية الوظيفة ، فجعلوا من الكتاب « الموظفين » أعمدة على حين بقى غيرهم لا يعرف ولا يشار إليه ، فى هذه الطريق تجد « عبد الحميد » وهو موظف ، ثم بعده تجد ابن العميد ثم بعدهما تجد القاضى الفاضل ، وهما موظفان كذلك . فيملأ العجب جوانحك وتتساءل فى استغراب ودهش : أين ابراهيم بن المهدى ، وهو ذو أسلوب فى النثر مبتدع ؟ وأين الجاحظ سيد كتاب عصره ، والذى سوى لنفسه طريقة لا تزال تؤتسى إلى يوم الناس هذا . وهذان مثلان من مُثل كثيرة ، ليس هذا مقام تتبعها وأياً ما كان ، فإنه يجب أن يخطط تاريخ الكتابة تخطيطاً جديداً ، ويخص بقسط من العناية أوفى .

قلنا هذا كله ؛ وسمعنا إطراء وثناء وبدت لنا الآذان مفتحة والنفوس منشرحة ووعدنا بالنظر ، فكان النظر فى كل شىء إلا فى حق التلميذ فقد بقى « على قدمه » ، كأنما هذا الذى بين يديه ، غاية الغايات وآية الآيات !

وقلنا إن المستوى الإنشائى للتلاميذ غير مناسب ، فيجب أن تقرر عليهم روايات أخرى تنزع بهم إلى ترقيه الأسلوب وتذوق الجمال فى الآثار الأدبية « كآلام فرتر » و « روفائيل » وكتب فيها مقالات أمشاج ، تذهب فى علاج نواحى اجتماعية أو سياسية فى أسلوب أدبى راق « كفيض الخاطر » و « مختار البشرى » على أن يكون لها نصيب من الدرجات حتى يرغم التلميذ على قراءتها وإجادتها وتذوقها والإفادة منها .

ونحن إذ نهيب بوزارة المعارف أن تولى أمر المناهج والملومات التى يتلقاها التلاميذ عنايتها إنما نفعل بدافع من هذا الأسف الممض الذى يعتصر قلوبنا اعتصاراً على نابتة تفنخ فى غير غم ولا تسير فى طريقها على أتم !

ولى عودة إلى مناهج التعليم الابتدائى إن شاء الله .

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

مجالس الأدب:

في إحدى ليالي رمضان

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

[تثبت فيما يلي نص الحوار الطريف الذي دار بين ثلاثة من أدباء مصر وشعرائها في إحدى ليالي رمضان كما أذاعته محطة الشرق الأدنى] ...

٥ — المعرى والجن

وما رأى المعرى في الجن يا أستاذ كامل ؟

كامل : يقول :

فاخش الليك ولا تقعد على رهب

إن أنت بالجن في الظلماء خشيتا

فإنما تلك أخبار ملفقة لخدعة الجاهل الحوشي حوشيتا

٦ — شكوى ابن الرومي

عماد : قل لي يا أستاذ كامل . هل كان ابن الرومي كالمعرى يصوم أيضاً ؟

كامل : كان المعرى يصوم الدهر مختاراً . وكان ابن الرومي يكاد يصوم الدهر مضطراً ، لأنه لم يكد يظفر بالقوت .

عماد : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : « فلو كف قوتى ماء وجهي صنته » .

أو يقول :

« لا تعجبن لرزوق أخى هوج

حظاً تخطى أصيل الرأى طرافا

خلائق الناس أعراء بلا وبر كاسى البهائم أوباراً وأصوافا»

أو يقول متبرماً بحظه :

« إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا »

أو يقول :

« حرمت في سنى وفي ميعتى قرارى من دنيا تضيفتها

لهفي على الدنيا ، وهل لهفة تنصف منها ، إن تلهفتها »

إلى آخر ما يقول مما يفيض به ديوانه .

٧ — ابن الرومي وشهر الصوم

عبد الغني : ولكن هل كان يحب رمضان ؟

كامل : كانت تجهده أيامه بقدر ما تبهجه لياليه .

عبد الغني : إذ يقول يا أستاذ كامل ؟

كامل : من طرائفه في هذا الباب قوله مداعباً :

« أذمه غير وقت فيه أحمده من المشاء إلى أن تسقع الديكه »

عماد : هذا بيت رائع ، فهل تذكر إخوته ؟

كامل :

« شهر الصيام وإن عظمت حرمته

شهر ثقيل بطيء الظل والحركه

يمشى الهوينى ، فأما حين يطلبنا

فلا السليك يدانيه ولا السلكه

يا صدق من قال أيام مباركة

إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه »

٨ — بياض المشيب

عبد الغني : ولكن قل لي يا عماد إن الشعرات البيض في رأسك تكاد تظفر بالشعرات السود ، فلماذا لا تعمد إلى الخضاب تسود به ما ابيض من شعرك كما يفعل كثيرون ، وكما فعل ابن الرومي حيث يقول :

يا بياض المشيب سودت وجهي عند بيض الوجوه سود العيون

وبهذه المناسبة هل تذكر يا أستاذ كامل شيئاً لابن الرومي في المشيب ؟

كامل : كثير ، ولكن هيهات ينسى قوله :

أما رأيت الدهر كيف يجرى يثبت ما أكتمه من عمرى

بأحرف يخطها في شعرى يمحو بها غض الشباب النضر

إذا محا سطراً بدا في سطر

عبد الغني : والآن أجبني يا أستاذ عماد لماذا لا تعمد إلى الخضاب ؟

عماد : إني لا أحب الكذب في الشعر وأنا لا أحبه أيضاً في الشعر . ومع ذلك فأنا مقيد بقسم قديم لا أستطيع التحلل منه الآن .

عبد الغنى : وما هو هذا القسم ؟

عماد : قد تطغى على النفس البشرية فى الشباب ساعات يأس أليم تبغض إليها الشباب حتى لتحسب سعادتها فى الشيخوخة، وذلك رغبة فى الانتقال من حال إلى حال . لا لأن الشيخوخة سعيدة فى حقيقتها ، وقد قلت فى شبابى الباكر قصيدة يأس أذكر منها هذه الأبيات الفريدة :

قل يا رعى الله المشيب ... ولا رعى الله الشباب
عهد بلوت عهـــوده ... فإذا بأغلبها كذاب
حلو على مُرٍ فهـــل ... يرضيك من هذين صاب
من لى بظهر قـــد تأطْـ ... ـر أو بيوم يقال شاب
آليت ثمّ أليـــة ... أن لا عمدت إلى الخضاب

٩ — ليلة الوزة

عبد الغنى : أذكر يا أستاذ كامل . أن الصحف والمجلات منذ خمسة عشر عاماً أشارت إلى ليلة من ليالى رمضان أقيمت فى دارك وأطلقت عليها : « ليلة الوزة » اجتمع فيها على مائدتك الزنكلونى وأحمد حسنين وشوق والمراوى والهمياوى وصادق عنبر وأحمد عيسى وأبو العيون ودراز ، ولا أزال أذكر منها الأبيات التالية :

« هذا هو المجلس ، لا تذكروا ... شبيهه فى الصفو لا تذكروا
رأيت فيـه كيف أضحت به ... حقيقة مَرْئيـــة عَبْقَر
كان زكى باشا ، إلى جنبه ... زعيمُ سوريا الحرُّ شَهْبَندر
وكان هرّاوىُ الرقيق الدقيـ ... ـق ، واللغوى صادق عنبرُ »

فما حكاية هذه الليلة ؟

كامل : جاء ولدى ذا صباح متهللا يُبشرنى بأن الوَزّة التى طارت من بيتنا منذ يومين إلى بيت الجيران عادت إلينا . وكان بعض الأدباء حاضراً فقال متظرفا : « ما دمت قد وجدت الوزة الضائعة فقد وجب عليك أن تدعونى إلى الإفطار عليها غداً . فأجبته إلى اقتراحه ، وجاء ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وصاحبنا لا يكف عن تظرفه ، ولا يفتأ يروى قصة الوزة ثم يختمها قائلا :

والكيلانى يدعوك إلى الإفطار غداً على هذه الوزة ابتهاجاً بعودتها . فيقبل صاحبنا الدعوة فى غير تردد .

فلما رأيته يتمادى فيما يظنه إحراجاً لى وهو — لو علم — مصدرُ سرور وبهجة ، قابلت تحدّيه بمثله ، فرحت أدعو بقية أصحابى تلفونياً إلى الفطور بعد أن أوجز لهم القصة ، حتى تجاوز عددهم الأربعين .

ولا أكتمكما أن تظرُّفَ صاحبى — مضافا إليه انسياق معه فى التحدى — قد جنَيا على كبش لم يكن له فى هـذه الجناية يد ، كما جنيا على جماعة أخرى من ذوات الأجنحة تكفى لإطعام أربعين أديباً ، من بينهم أديبان ، كلاهما — علم الله — جديرٌ أن يكون أمة وحده .

وقد استولى المرح على الحاضرين حين سمعوا أحد الأديبين يشكو أضراسه وهو يطحن الأكل طحناً ، وعلا هتافهم حين سمعوا قول ابن الرومى :

على أنه ينمَى إلى كل صاحب ... ضروساً له تأتى على الثور والكبش
يخبر عنها أن فيها تَشَلُّماً ... وذلكم أدهى وأوكد للجرش
ألم تعلموا أن الرحى — عند نقرها ... وتجريشها — تأتى على الصلب والهشّ

وكانت ليلة أنس حافلة قلّ أن يجود بمثلها الزمن . وتوسطت الوزةُ المائدة ولم يفكر أحد فى لمسها وتمزيق لحمها شكراً لما أسدته إلينا من جميل ، بما هيأت لنا من اجتماع سعيد . وقد اجتمع الحاضرون على تخصيص الليلة كلها لأبرع ما يعرفون من حكايات الوَز .

١٠ — ساق الوزة

عماد : بمناسبة اشتغالك بجحا يا أستاذ كامل فى هذه الأيام هل كان لجحا نصيب من حكايات الوَزّ .

كامل : نصيب الأسد . فقد ظفرتْ بعضُ حكاياته — على عادتها — بالجائزة الأولى . وخلاصتها أن الجوع استبد به ذات مرة ، فاضطره إلى التهام ساق الوزة المشوية قبل قدوم صاحبه .

فلما سأله فى ذلك قال :

ألا تعلم أن للوز ساقاً واحدة ؟

واشتدّ اللجاج بينهما فخرجا إلى حديقة الدار — وكان يوماً

تعقيبـــات ...

للاستاذ عباس حسان خضر

أعداء المرأة :

منذ سنين أطلق بعض المروّجين للأستاذ توفيق الحكيم عليه لقب (عدو المرأة) ، واتخذت المجلات الشعبية هذا اللقب مادة للتندر فيما يتصل به ، وطاب ذلك للأستاذ نفسه ، فأكثر فى كتاباته مما يثبته ويسيّره بين الناس ، وكان بين الناس ، ولم يزل بينهم ، من يتساءل عن معنى هذه العداوة . وأكثر هؤلاء المتسائلون تساؤلهم لما رأوا أخيراً الدكتور زكى مبارك يعلن بنفسه فى مجلة (مسامرات الجيب) أنه عدو المرأة ، ويتبع ذلك بحملة عشواء ... يعلو فيها مثار النقع ، وتنجلى غمراتها عن هزيمة الجنس الناعم أمام أسلحة الشتائم التى جرد منها بالتثقيف والتهذيب ، واتخذها بعض الرجال أداة لحربه ...

ويعجب الشاهدون لهذه المامع من هؤلاء (الأبطال) الذين يريدون أن يعكروا صفو المودة بين الجنسين التى هى من آيات الله الذى جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة ؛ ويعجبون أشد العجب لتحقير اللائى هن من أنفسنا ونحن منهن ولا يحق لهن إلا الكرامة والإعزاز .

ويقول السائلون عن معنى تلك المداوة : أهى عداوة جنسية بحيث يدعو أولئك المغاوير سائر الرجال إلى حرب النساء ، ويضطر النساء إلى المقاومة ، فيقف الجنسان فى الميْدان صفين على رأس أحدهما توفيق الحكيم وزكى مبارك ... ؟

قائظاً يكاد يلتهب فرأيا الوز واقفاً على رجل رجل .

فقال جحا :

أرأيت صدق ما أقول

فأسرع صاحبه إلى الوَز وهشّه ، فجرت كل وزة على ساقيها فقال له :

أرأيت الآن لكل وَزّة ساقين ؟

فقال جحا متباهاً :

آه ! لقد ذبحتها يا صاح من غير أن أقول لها هش !

ما الرجل ؟ وما المرأة ؟ أليسا نصفى شىء واحد هو الإنسان ؟ وهل يستطيع هذا الإنسان أن يتحرك إذا شل نصفه ؟

إن الرجل ليس رجلا إلا لأن هناك امرأة ، فهما متقابلان لا وجود لأحدهما دون الآخر ، وليست المرأة إلا شريكا للرجل له قيمته ، وليس من الرجولة أن تنتقصه وتتنكر له !

فإذا كان من يتسمون أعداء المرأة يريدون أن يحاربوا عيوباً تتصف بها ، ونقائص جرت أو طرأت عليها ، فليس السبيل إلى ذلك إيذاء شعور الكرائم وجرح نفوسهن بتلك المهاترات ، إنما السبيل هو الذى يسلكه ذوو الألباب من التنديد بالنقائص والعيوب والدعوة إلى نبذها والتجمل بأضدادها ، كما يصنع الأستاذان الطنطاوى وسيد قطب فى « الرسالة » الزاهرة

وليس للرجل أن يعيب المرأة — من حيث هى امرأة — لنقائص فى جنسها ، أولأن أفراداً منه حادوا عن الجادة ، فالرجال فى ذلك كالنساء ، بل إن من الرجال من لا تستطيع أشد النساء إمعاناً فى الخزى أن تبلغ شأوه فى هذا المضمار ، وهم المتشبهون بهن ... ومن يتخذونهم بدلا منها ... ومع ذلك لم نسمع أن امرأة نودى بها أو نادت بنفسها عدوة للرجل ... !

فعداوة الجنس برمته لا موضوع لها إلا أن يكون القصد منها الترويج والتهريج والتظاهر بأعجب البطولات !

رؤيا لم تقص :

رأى أحد الأشرار فى نومه أنه قتل رجلا ، ولم يستطع الفرار : فوقع فى يد الشرطة ، وقدم إلى المحاكمة . وحكم عليه بالإعدام ، وحل وقت التنفيذ ، وأتى به إلى المشنقة ؛ وبينما كان الرجل سابحاً بفكره فى رؤياه دخلت زوجه لتوقظه ، وفى اللحظة التى وصل فيها إلى أن كان الجلاد يمدّ له حبل المشنقة — لمست يد زوجه عنقه ، فقامت هذه اللمسة مقام الحبل فى التأثير فى الرجل ... ففاضت روحه .

مهلا قارىء « الرسالة » ، فأنا أعرف فطنتك ، وما يقاس ذكاء مثلك بمثل هذه الحكاية ، فلا إخالك إلا سائلا : وكيف عُرف أن الرجل رأى هذه الرؤيا وقد اتصل نومه بالموت فلم يقص رؤياه على أحد . . ؟ !

وبعد ، فقد قرأت قصة (قطر الندى) للصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان التى ظهرت فى سلسلة (اقرأ) ، وهى

قصة ممتعة جلاّها أسلوب العريان الطلى وحلاّها براعته الفنية ، ولكنى وقفت فيها عند رؤيا لم تقص ... لست أدرى كيف عرفها الأستاذ العريان ؟ !

ذلك أن (أم آسية) حاضنة قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد ابن طولون — رأت ذات ليلة أنها فى قصر عظيم تزف فيه قطر الندى بنت ملك الغرب (خمارويه) إلى ملك الشرق (الخليفة العباسى) ، وكأنها (أم آسية) أم العريس ، وقد أفسحوا لها حتى دخلت إلى دار الحرم فشاهدت قطر الندى جالسة على سريرها... وحملها أريج البخور على جناحين من لهب إلى السماوات ، فما تنبهت إلا على صائح يصيح .. !

وقصت رؤياها على سيدها خمارويه راجية منه أن تكون ماشطة الأميرة يوم زفافها ... ثم كبرت الأميرة ... وهيئت للزفاف إلى المعتضد ، وسار ركب العروس من مصر إلى العراق . وفى بعض منازل الطريق نامت أم آسية ماشطة العروس ذات ليلة ، فرأت تمام الرؤيا التى بدأتها فى منامها منذ سنين ... حملها الأريج إلى السماوات ، وسمعت هذه المرة صيحة الصائح ... عرفته وفهمت عنه رسول من مصر يهتف بنبأ مروع ... قال الأستاذ : « وطوت صدرها على السر فلم تكشف لأحد عن خبره » وقال : « واشتد بها الوجع ذات ليلة فى بعض منازل الطريق ، وأصبحت ميتة لم تكشف عن سرها ولم تتحدث إلى أحد برؤياها ! »

وعرفنا من حوادث القصة بعد ذلك أن تمام الرؤيا قد تحقق كما تحققت بدايتها ، إذ كان النبأ المروع أن غلمان خمارويه وثبوا عليه فقتلوه !

ولا أشك فى أنك الآن مشاركى العجب من معرفة الأستاذ العريان رؤيا أم آسية الثانية وهى لم تتحدث إلى أحد بها ! اللهم إلا أن يكون قد رأى أم آسية فى نومه فأفضت إليه بالسر الذى طوته حقباً من الدهر ... ؟

فى تعليم اللغة العربية :

كتب الأستاذ عادل الغضبان فى مجلة الكتاب الصادرة فى أكتوبر الفائت مقالا بعنوان «اللغة العربية بين المعلم والطالب» بين فيه ما رآه من أسباب ضعف الناشئة فى اللغة العربية ، ووزع التبعة فى ذلك بين الطالب والمعلم والمنهج ، فالطالب منصرف عن الدرس مقبل على مطالعة صحف المتعة والتسلية ، والمعلم مرهق بكثرة العمل مشغول بأسباب معاشه فى عصر كثرت فيه المطالب والنفقات ، وقد أفاض الأستاذ فى هذه النقطة فأنصف المعلم ودعا الدولة إلى رعايته وتقديره .

وتلك أسباب لضعف الطلبة فى جميع المواد لا فى اللغة العربية وحدها ، ويظهر أن الكتاب ، لغيرتهم على اللغة العربية وتشبثهم بحبها ، يقصرون الكلام عليها حينما يتعرضون لشئون التعليم من حيث انخفاض المستوى العلمى للطلبة مع أنه يكاد يكون على سواء فى جميع المواد .

أما كلام الأستاذ فى المنهج ، فقد تضمن ما نخالفه فيه ، عاب معالجة المنهج المشحون بالحذف والتبسيط ، ولكنه لم يقل بم يعالج ، فمن المعلوم أن ازدحام المنهج بالمواد يتخم الطالب ويعسر عليه هضم المعلومات ، فبم يعالج إن لم يكن بنقصه وتسهيل صعبه ؟

وحمل على التبسيط فقال : « ولقد عمت موجة التبسيط كل مقومات اللغة ، فتناولت اللفظ والأسلوب والصرف والنحو والبلاغة والأدب . فبدت اللغة العربية لذهن الطالب بعد ذلك التبسيط شجرة جرداء مقلمة الفروع جافة الغصون » . وقال : « إن هذا التبسيط يبعد الطالب عن الأساليب القديمة البليغة » . إلى أن قال : « وأعجب العجب ما قرأناه أخيراً من أن أستاذاً فى الجامعة يملى على تلامذته تفسير القرآن باللغة العامية »

والذى أراه أن أستاذ الجامعة يسف فى التسهيل والتقريب ، والأستاذ عادل الغضبان يوغل فى البعد عن مدارك التلاميذ ، ومن أسس التربية المفروغ منها وجوب البدء بالسهل ثم الانتقال منه إلى الصعب ثم إلى الأصعب ، ولكن الأستاذ عادل يريد أن يصدم الأذهان الغضة بالأساليب القديمة البليغة ، وأستاذ الجامعة ينتهى بالجامعيين إلى ما هو دون ما يجب أن يبدأ به ، فالتلميذ يبدأ فى السنة الأولى الابتدائية بالمحادثة العربية وينتهى فى الجامعة بالبلاغة العامية .. !

ويغالى الأستاذ عادل فى بيان قيمة القواعد ويرى الإكثار منها فى المدارس ، ولم يول اللغة نفسها أى الكلام العربى شيئاً من الاهتمام مع أنه هو الغاية المنشودة ، والأجدى فى الوصول إلى هذه الغاية أن نعرض الكلام نفسه مكونا مركبا على الناشىء بمختلف الوسائل ، ليدركه ويتذوقه وينطبع مثاله فى ذهنه ، قبل أن نحشوه بتلك القواعد التى تحلل الكلام وتفككه . وبهذا نحقق فائدتين : الأولى تكون ملكة لغوية يقتدر بها

فلسفة التعمير فى الحياة

للدكتور فضـــــل أبو بكر

وخوف الردى آوى إلى الـكهف أهله
وعـلم نوحاً وابنـه صنـعة السفن
وما استـعذبته روح مـوسى وآدم
وقـد وعدا من بعـده جنتى عدن
« أبو العلاء المعرى »

التشبث بأهداب الحياة أمنية كل إنسان ، بل هدف جميع المخلوقات من الأحياء ، وهى ليست أمنية أو محض رجاء ، بل هى سعى وكفاح أزلى دائم بين تلك الأحياء تتنازع فيه من أجل البقاء ولأجل البقاء ، فينتصر فى هذا العراك الأقوى ويحرز النصر الأصلح على حساب الضعيف الذى لا تعد له الطبيعة حساباً ، كما سمعت صيحة أزلية داوية يتجاوب صداها فى خلال القرون « الويل للضعيف » ! وتنازع البقاء هـذا هو علة الملل — هو سبب الويلات والحروب التى يشنها الأفراد كما تشنها الأمم بعضها على بعض من حين إلى حين كلما اشتدت وطأة هذا التنازع ، كما تشتد وطأة البراكين فتثور ثائرتها وتقذف حممها وهذا التنازع يغرى بالأثرة ويوعز بالأنانية التى تعد من أقوى الغرائز المستأصلة فى الإنسان ، وقد يخفف من وطأتها ويهذب بعض الشىء من شراستها القوانين الأخلاقية وما أنزل من السماء من كتب مقدسة تحث على الأيثار وتندد بالأثرة ، ولـكن هيهات ! إذ الطبع يغلب على التطبع ، والغرائز لا يمكن استئصالها وإن كان من المحتمل تهذيبها

ألم يأتك نبأ الأم وقد خرجت من دارها مذعورة تحمل وحيدها على ذراعيها لما طغى الماء وهدد بالطوفان ؟ ! كانت ترفع فلذة كبدها إلى أعلى رويداً رويداً كلما زاد طغيان الماء وعلا منسوبه ولما قارب الماء وجهها رفعت الإبن إلى هامة رأسها ، وما أن أدرك الماء الوجه منها وهددت بالاختناق والغرق ، حتى ألقت طفلها فى القاع لـكى تعلو عليه فيقيها شر الخطر المحدق ولو إلى حين ! ضحت بابنها لـكى تنجى نفسها ولم تضعه فى تابوت مريح وتسمى عليه كما فعلت أم موسى ، وكما يقول المرحوم شوقى بك فى إحدى قصائده:

الناشىء على التعبير الفصيح وتذوق الأساليب العربية ، والفائدة الثانية أن يقبل على القواعد بعد ذلك شاعراً بالحاجة إليها لضبط ما عرفه ومرن عليه من الـكلام .

ومن مغالاة الأستاذ فى هذا الصدد قوله : « أما البلاغة فقد أخنى عليها الذى أخنى على القواعد فبسطت بالحذف دون مراعاة جلال شأن المحذوف ، فقد حذف من أبوابها باب الفصل والوصل ولعله فى نظرنا أهم أبواب البلاغة والطريف أن للبلاغة تعريفات جمة منها أنها (معرفة الفصل من الوصل) ولو عرف كثير من الـكتاب هذا الباب ووقفوا على أسراره ودقائقه لاهتموا بأن يقدموا للقارىء أسلوبا لا تتمادى فقره ولا تتجافى ألفاظه ولا تختلط فيه حروف العطف اختلاطا متنافراً متنا كراً » .

وأنا أقول له : إن الـكتاب الذين يشير إليهم إن يقرءوا باب الوصل والفصل فى كل كتاب من كتب المعانى مائة مرة فلن يأتوا منه فى أسلوبهم بشىء ، إنما يعوز هؤلاء — كى يقدموا للقارىء أسلوبا لا تتمادى فقره .. الخ - أن يقرءوا الأدب العربى ويفهموه ويتذوقوه ويعيشوا معه حتى يكتسبوا منـه سليقة يعرفون بها الفصل من الوصل وغير الفصل والوصل من مقتضيات البلاغة ، فالذى أفهمه من معنى أن البلاغة هى معرفة الفصل من الوصل أن الـكلام البليغ ما يجىء فيه كل من الفصل والوصل فى موضعه ، فليس المقصود من البلاغة هنا أنها « علم بقواعد » .

وفى وسع أى كاتب أن يرد على هذا الـكلام بمقال يبين فيه الفوائد التى لا تحصى من دراسة علوم البلاغة ، ولـكن المحقق أنه لن يفكر وهو يكتب هذا المقال فى شىء من قواعد هذه العلوم ...

وبعد فثمة عامل من عوامل ضعف تلاميذ المدارس فى اللغة العربية لم أر أحداً نبه عليه ، ذلك أن فروع اللغة العربية من إنشاء وأدب وقواعد وتطبيق ومحفوظات ومطالعة وإملاء وخط — متعاونة كلها متآزرة كأعضاء الجسد ... الواحد إذا اشتكي فرع منها تداعى له سائر الفروع بالدرجات المـكملات للنهاية الصغرى اللازمة للنجاح ... فالذى يقع من جراء ذلك أن التلميذ يهمل فروعا قد يجهلها جهلا تاما اعتمادا على تلك الوحدة الرائعة ..

فلا تعجب إذا رأيت تلميذاً ينجح فى امتحانات اللغة العربية وهو لا يستطيع كتابة سطر بأسلوب سليم ، لأنه يحفظ القواعد أو يحسن غيرها من بقية الفروع ، وقل مثل ذلك فى الباقى ، ولو جعل لـكل مادة درجة معلومة لا بد منها للنجاح لا ضطر التلميذ أن يصل إلى المستوى الذى يجب أن يكون عليه فى كل مادة بدلا من أن تمكن له أن يجهل شيئا بشىء .

عباس حسان خضر

كأم موسى على اسم الله تكفلنا   وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا

وقد يبدو من تصرف تلك الأم كثير من الأنانية ، غير أن غريزة حب النفس طغت على عاطفة الأمومة ، وهل عاطفة الأمومة نفسها إلا جزء من غريزة حب النفس ؟ ! فالأم تحب ابنها لأنه جزء منها ولأنه عزاء لها بعد مماتها إذا قدر لها أن تموت قبله ، فهو موصل ومكمل لتلك الحياة .

كل ذلك كما أسلفنا سببه تنازع البقاء وطلب الخلود حتى الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر وقد أفعم الإيمان قلوبهم وزهدوا عن حطام الدنيا تراهم يملقون بالحياة وتراهم يعزون أنفسهم — وقد علموا ألا خلود فى الحياة — بأن الحياة ما هى إلا طيف خيال ، وأن وراءها الدار الخالدة الباقية ، فالبقاء هو الغاية فى كلتا الحالتين .

فالإنسان يطمع إذن فى خلود نسبى ، إذ لا سبيل إلى المطلق فى هذه الدنيا « وما لا يدرك كله لا يترك جزؤه » . فهو يرجو بعبارة أخرى أن يطول عمره إلى أقصى حد ممكن . لهذا أريد أن أوضح باختصار بعض الطرق المؤدية إلى التعمير ، وهى طرق نفسانية غير الطرق الطبية والصحية المألوفة مع اعتقادنا بأنه « لكل أجل كتاب » . وهذه الطرق هى كالآتى :

١ — الاعتقاد فى طول العمر والاختلاط الدائم بالشباب .
٢ — نبذ عواطف البغض والحسد والغضب .
٣ — الإيمان بالله والاعتقاد فى البعث والخلود .

١ — الاعتقاد فى طول العمر :

أن نؤمن بحقيقة أن بعض الناس منذ بدء الخليقة وفى كل زمان ومكان قد بلغوا من العمر عتياً وتناقل أخبارهم الناس فى شىء من الاستغراب والغبطة ، غير أن عملية الإحصائيات لم تنظم إلا متأخراً نسبياً . ولنذكر بعضاً من أولئك المعمرين على سبيل المثل :

روى المؤرخ الرومانى « بلين » (٢٣ — ٧٩م) أن عمل فى ذلك الوقت إحصاء فى شمال إيطاليا ، وكان محصوراً فى ثلاثة ملايين نسمة وجدوا بينهم أكثر من ١٧٠ ممن عاشوا بعد المائة عام . كما روى المؤرخ « استرابن » أن بعضاً من سكان البنجاب زادت أعمارهم على المائة . كما ذكر الشاعر الإغريقى « أنا كريون » أن ملك قبرص فى ذلك الوقت واسمه « سنجراس » بلغ من العمر ١٦٠ سنة . كذلك يقول العالم الفسيولوجى « هالر » فى كتابه « مبادئ الفسيولوجى » أن التوسط لعمر الإنسان يمكن أن يبلغ ٢٠٠ عام — وعمل إحصاء فى مدينة بوينس إيرس بأمريكا الجنوبية سنة ١٨٩٦ فوجدوا أن أحد السكان واسمه « برونو » بلغ عمره ١٥٠ سنة . وعملت أيضاً إحصائية بالولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ أسفرت عن وجود ٣٨٩١ من المعمرين الذين عاشوا بعد المائة عام إلى غير ذلك من الإحصائيات .

هذا ، وقد ذكر بعض العلماء مثل : هاملر وبلاندن وجريفز أن بعضاً من المعمرين تنبت أسنانهم للمرة الثالثة ، وأن امرأة هرمة ربا عمرها عن ١٩٠ عام عادت إليها أسنانها للمرة الثالثة كما تبدل بياض شعرها سواداً . والبعض منهم يحتفظ بقواه العقلية والجسمية بدرجة تمكنه من إدارة شؤونه . فوليم جلادستون مثلا الذى كان زعيما لحزب الأحرار البريطانى ، والذى كان زميلا ومعارضاً لدزرائيلى زعيم المحافظين فى ذلك الوقت بلغ جلادستون من عمره التسعين ، ومع ذلك كان محتفظاً بقوة عقله وجسمه ، وكان يمارس قطع الأخشاب كهفية فى وقت فراغه ، وهو عمل شاق حتى على الشبان .

كان يلذ للناس منذ قديم الزمن ويسترعى فضولهم أن يسألوا المعمرين عن سر تعميرهم ، وهل عثروا على حجر الفلاسفة وأكسير الحياة ؟ ! وكانت الأجوبة فى كثير من الأحيان لا تروى ظمأ ولا تشفى غليلا ، بل كان فيها أحياناً شىء من التناقض ، مثال ذلك ما يرويه الفرنسيون على سبيل التندر عن بعض المعمرين من سكان بريتانيا فى شمال فرنسا . سألوه ذات مرة عن السر فى طول عمره ؟ فأجابهم بشىء من التحدى : « إن السر فى ذلك بسيط جداً . كنت إذا ما أكثرت من شرب الخمر رجعت فأكثرت من التدخين ، وإذا ما أكثرت من التدخين عدت لأدمن الخمر وهكذا دواليك » . والمفروض فى هاتين المادتين ، أى الخمر والتبق ، هو ضررهما بالجسم ولا سيما فى حالة الإدمان . غير أن الذى يشاهد فى معظم الأوقات أن أغلب المعمرين كانت حياتهم هادئة نسبياً قليلة الهموم والعواطف المؤذية

مثل الغيرة والحسد والبغض . وقد قال بعض علماء الصحة — في شيء من المبالغة — إن الإنسان لا يموت موتاً طبيعياً ، ولكنه ينتحر لإسرافه وعدم مراعاته الاعتدال الذي هو أهم العوامل لصيانة الجسم . فالإفراط مادياً كان أو نفسياً يعود على الجسم بأضرار بليغة ؛ كما أن الكثير من الناس يتعاطى من الطعام ثلاثة أضعاف ما يلزمه ، ومن هنا نشاهد نسبة التعمير بين الفقراء ومتوسطي الحال تفوق نسبتهم بين الأغنياء المترفين . وليس خطأنا فيما يتعلق بالأطعمة محصوراً في « الكم » ولكنه يشمل « الكيف » من حيث تحضير الأطعمة . نتفنن في طرق طبخها ونبالغ فيه ، وفاتنا أن كثرة الطهي تفقد الأغذية كثيراً من قيمتها الغذائية ، كما أن المواد الحية من حيوان أو نبات هي أفيد لصحتنا وأجدى لإحياء أجسامنا . خذ مثلا بعض سكان النرويج وسيبريا الذين يعيشون في أغلب الأوقات على المواد النيئة من حيوانية مثل السمك والقواقع وغير ذلك مما يلفظ البحر ، ونباتية مثل الفواكه والخضروات والبقول تجد نسبة المعمرين مرتفعة عند تلك القبائل . وقد استرعت هذه الخاصية أنظار العلماء والفلاسفة منذ عهد بعيد . ويذكر الفيلسوف العالم أرسطاطاليس أن بعض التماسيح تبلغ من العمر عتياً ، وقد يمتد بها الأجل إلى أكثر من ٥٠٠ عام ، ومن أهم الأسباب المؤدية لطول أعمارها — كما زعم — هو كونها تتغذى على الأحياء المائية من نبات وحيوان .

أما الاختلاط الدائم بالشباب الأقوياء ، وكونه مؤديا إلى الاحتفاظ بالشباب ، فقد أقر هذه الحقيقة القدماء ونوه بها بعض الفلاسفة والعلماء مثل جالينوس ؛ وكذلك الفيلسوف الإنجليزي « روجربيكن » . وقد قال في ذلك : « إن هنالك أرواحا وإشعاعا ينبعثان من الإنسان الشاب القوي ،ويكون فيهما شفاء المريض ، وتجديد لشباب من ولى عنه الشباب وعلا مفرقه المشيب » . والواقع أن هذه الظاهرة النفسية الحيوية قد أثبتها العلم الحديث ووجد لها تعليلا بيولوجياً بواسطة الاهتزاز والذبذبة الخلوية « Vibration ocellatoire Ce 114 Laire » ، وأثبت عملياً وجود مثل هذه الذبذبة بواسطة أجهزة بلغت منتهى الإتقان والحساسية ، وكلما كان الجسم قوياً شاباً كانت الذبذبة أكثر نشاطاً ، ومجموعة الاهتزازات والذبذبة المنبعثة من الخلايا الحية تكون ما يسمونه « بالإشعاع الحيوي » وهذا الإشعاع إذا ما صادف — بالقرب منه — جسما هرماً أو هزيلا أحدث فيه اهتزازاً قوياً لخلاياه بواسطة الجذب الكهربائي المغنطيسي .

وقد استخدم بعض العلماء ظاهرة الإشعاع الحيوي وما ينتج عنه من جذب مغنطيسي كهربائي لإعادة الشباب منها طريقة « جاورسكي » بواسطة حقن دم شاب قوي لآخر معتل الصحة أو متقدم في السن على شرط أن تكون الدماء من نفس النوع والفصيلة لكيلا تحدث تفاعلات مؤذية للجسم . وهناك طريقة أخرى هي طريقة «ڤورونوف» ، وهي تطعيم الجسم بخلايا وأنسجة من جسم آخر وهي نوع من الترقيع الجسمي Greffe Tissulaire

وليس من النادر أن نشاهد فتاة زوجت من شيخ ، وهذا كثير الحصول عندنا في الشرق ، إذ عامل الجاه والغنى يلعب دوراً كبيراً في مثل هذه المناسبات . فنلاحظ أن الزوجة الشابة تذبل قبل أوانها ، بينما تبطأ خطوات الشيخ نحو الهرم والمشيب ، والسبب في ذلك هو ما أسلفنا من شرح . وحتى من المتداول بين عامة الناس أن الشيخ إذا تزوج من شابة « شرب أنفاسها »

٢ — نبذ عواطف البغض والحسد والغيرة :

الحسد داء عضلي يفسد الأود وينهك الجسد . هو أخبث مكروب يودي بحياة صاحبه ، وقد قام بعض علماء النفس بإحصائيات دقيقة ، فوجدوا أن كثيرين ممن أصيبوا بهذا الداء لم يعمروا كثيراً إذا استثنينا بعض الشواذ « يعجل الله بالأحياء » أو كما يقال بالفرنسية Ce sont les bons qui s, en uont ، ولكن في الغالب فالوضع كما أسلفنا . والحسد يسبب البغض والغضب عن الغير لما أصابوا من نعمة أو ما حصلوا عليه من جاه ، وهذه العواطف الذميمة تؤثر تأثيراً سيئاً على سائر أعضاء الجسم ولا سيما الجهاز العصبي فتتوتر الأعصاب ويعتريها التعب من فرط التهيج والانفعالات ، كما تتأثر بقية الأجهزة لخضوعها المباشر للجهاز العصبي فيحدث بالجسم ضرراً بليغاً . وقد أجاد بعض شعراء العرب في وصف مفعول الحسد فقال :

أصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وكثيراً ما يكون الحسد سبباً في إفساد العلاقات الودية بين أفراد العائلة ، كما يفسد صحة أولئك الأفراد . وقد قص عليّ صديق فرنسي مأساة عائلية مؤداها أنه تعرف بعائلة كريمة كانت في رغد من العيش ، وتتكون من أبوين وأربع بنات يربط أفرادها حب عائلي وثيق . تزوجت الكبرى بمهندس دمث الأخلاق موفق في جميع مشاريعه وأعماله ، فمهرها أبوها مهراً عالياً — كما هو الحال عند الغربيين — وجهزها بكل ما تحتاج إليه ، كما قام بنفس الواجب نحو باقي البنات . نجح المهندس زوج الكبرى وازدهرت أعماله وتضخمت ثروته بعكس ما وصلت إليه حال بقية الأزواج ، فقد ساءت لحد بعيد ، وذلك بسبب سوء تصرفهم أو سوء حظهم أو لكليهما معاً . دب الحسد في قلوب الأخوات الثلاث نحو الأخت الكبرى وصرن يتقولن عليها ويرمينها وزوجها بالبخل والتقتير حيناً وبالكبرياء أحياناً ، وأن زوجها من عائلة وضيعة ، وأنه جمع ثروته سحتاً عن طريق التزوير ؛ وأصبحن لا شاغل لهن غير التعرض لأختهن وزوجها ، وتسبب في نفوسهن مايشابه « العقدة النفسية » من جراء هذا الحسد ، فماتت إحداهن في سن مبكرة لم تزد على السادسة والعشرين كما قضت الأخرى نحبها في سن الثامنة والعشرين بأمراض عادية أخف وطأة — فيما أعتقد — عن مرض الحسد الذي قصر من عمريهما . أما الصغرى فقد انتحرت نتيجة مشاجرة مع زوجها . هذا مثل بسيط سقته على سبيل الاستشهاد ، وإن كانت الحياة اليومية ملأى بمثل هذه المآسي المحزنة .

٣ — الايمان بالله والاعتقاد في البعث والخلود :

لا جدال أن الإيمان بالله وباليوم الآخر فيه طمأنينة للنفس على عكس الشك والحيرة في أمر الإله ، فهو مدعاة للقلق والخوف والخوف مضر بالجسم وقد يسبب الموت إذا اشتدت وطأته فيسبب للجهاز العصبي ما يسمى Inhibition «شلل» أي يوقف حركته ، ومن المتعارف بين الناس أن الخوف يميت بخلاف من يؤمن بالله وبالبعث فيقل خوفه من الموت ومن التفكير في شأنه ويهون عليه بعض الشيء فراق الحياة ، إذ يعزي نفسه بالأخرى وهي خير وأبقى . ويقول بعض علماء النفس أن قوة إيمان الصالحين والقديسين وعدم مبالاتهم كثيراً بالموت كل ذلك له بعض الدخل في تعميرهم .

أما مسألة الخلود — أي خلود الأرواح — فقد نوهت عنه الأديان كما حاول إثباته نفسياً علماء الروح وعلمياً أساتذة الطبيعة ، فالذي يموت في الإنسان إنما هي مادته وليست روحه التي تفارق تلك المادة ، وحتى الموت نفسه لا يستطيع فناء تلك المادة لأن المادة خالدة لا تفنى ، ولكنها تتحول إلى عناصرها الأولية التي تحفظ في الطبيعة ، فالحياة بعبارة أخرى ما هي إلا مجموعة الذبذبة والاهتزاز الخلوي كما سبق ذكره ، وهذه المجموعة هي إحدى القوى الطبيعية « Energie » مثلها مثل قوة الجاذبية والدوران ، والقوة الكهربائية من حيث أنها قوة كلها من أصل واحد هو « Origine Cosmique » أي من أصل كوني . والقوى كالمادة لا تفنى ، ولكنها تتحول من نوع إلى نوع آخر على حسب العوامل التي تسيطر عليها . كذلك الروح « l, Ame » كما يسميها النفسيون والقوة الحيوية « Energie Vitale » كما يسميها الطبيعيون ليست فانية ، وإنما هي موجودة ومحفوظة في الكون .

ذكرنا كذلك أن الجسم لما تفارقه الروح أو القوة الحيوية أو بتعبير آخر يموت صاحبه تهدم مادة الجسم وتنحل إلى عناصرها الأولية ، وهذه العناصر موجودة ومحفوظة في الكون أيضاً ، ومن المعقول جداً أن يعود الجسم مرة ثانية ويبعث من جديد بائتلاف عناصره الأولية مرة أخرى ، إذ الحياة ما هي إلا حلقة من بناء « Metabolime » يعقبه هدم « Catablisme » ، ثم يعقبه بناء وهكذا . وإذا ما عاد بنا الجسم من جديد جذب إليه روحه التي فارقته بواسطة نوع من الجذب المغنطيسي الكهربائي إذ كل روح تنجذب إلى جسمها الذي فارقته ، وشبيه الشيء منجذب إليه .

فضل أبو بكر

الأدب في سير أعلامه :

ملتن . . .

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال . . .]

للاستاذ محمود الخفيف

— ٣٣ —

عود إلى الشعر :

وانطوى ربيع الأليزابيثيين فكان من ألحانه التي احتبست بانطوائه تلك المقطوعات ، وظل الحال كذلك حتى جاء ملتن في صيف البيوريتانز ، فغنى في طلائع ذلك الصيف ألحان الربيع الراحل ؛ وجدد هذا الطائر المتخلف لحن هاتيك المقطوعات . وكان ملتن يحب إيطاليا فازداد حباً لتلك المقطوعات في أول عهده بالشعر وهو في جنة الشباب وريعانه ؛ وكيف لا يتغنى شاعر مثل ملتن بهذا الضرب من الأغاني وفي نفسه من الخواطر ومن خصائص شعره من الوسيقى وسحر اللفظ ما يجعله كأنما خلق لهذا الغناء وحده . على أنه كان مقلا فلة تبعث على كثير من الأسف ، وذلك لانشغاله بأمور الدين والسياسة وإن كانت أكثر مقطوعاته وليدة هذا الانشغال

ولكنه على إقلاله قد أضاف إلى تاريخ تلك المقطوعات فصلا ممتعاً رائعاً في أدب قومه . ولقد كانت مقطوعاته من بعده كالوحي لشعراء القرن التاسع عشر من قادة المذهب الابتداعي وفي مقدمتهم وردزورث الذي أعجب إعجاباً شديداً بمقطوعات ملتن ودأب على محاكاته ، ويتضح هذا الإعجاب في مقطوعته التي بدأها بقوله : « أي ملتن ، إنه لينبغي أن تكون موجوداً في هذه الساعة ، فإن انجلترة في حاجة إليك » ؛ والتي وصفه فيها بأن نفسه كالكوكب في سموه ومنعزله ، وأن له صوتاً ينبعث كما ينبعث صوت البحر ، طاهراً كالسماوات الصافية العارية عليه سيماء الجلالة والحرية ، وأنه خالد يتنقل مسافراً في طريق الأبدية . وقد تبع وردزورث في إعجابه بملتن بيرون وكيتس وبروننج وأرنولد وروزتي وتنيسون ، ولهذا الأخير مقطوعة رائعة تغنى فيها بمجد ملتن بدأها بقوله : « يا ذا المقوّل القدير ، يا مبدع النغمات والألحان ، إيه يا من وهب المهارة ليغني للزمن أو الخلود ، يا من هو لانجلترة صوت أرغنها جاءها هبة من الله ... ملتن هذا الاسم الذي سوف يرن في مسامع الأجيال »

وليس بين ما تغنى به ملتن من مقطوعات وبين ما أوحت به مقطوعاته إلى هؤلاء الأفذاذ الذين افتتنوا به شيء يذكر من هذا الضرب من الغناء ، وهذه هي القيمة التاريخية لمقطوعاته وخطرها في أدب قومه

لم يترك ملتن إلا أربعاً وعشرين مقطوعة ، منها خمس نظمها بالإيطالية ، ويرجح نقدة الأدب أنه نظم هذه الخمس أثناء مقامه بإيطاليا ، وهي من أغاني الحب ، وجهها الشاعر الشاب إلى غادة إيطالية من بولونا سحرته بسمرة محياها وبمقلتيها الدعجاوين اللتين افتتن بهما لأنه كان بهذا الدعج مولع كما قال ، وبصوتها الحلو وغنائها المطرب الذي هو كفيل أن يسحر القمر السابح ؛ وقد تغنى الشاعر بجمال فاتنته وشكا من قسوة قلبها عليه كما يشكو الشباب في أول عهدهم بالحب !

أما عن الطريقة التي جرى عليها في نظم هذه المقطوعات الخمس ، فإن اثنتين منها جاءتا وفق الطريقة الإيطالية ، وجاءت الثلاثة الباقية مزيجا من الإيطالية والإنجليزية على صورة اتبعها ملتن ذلك الذي كان كثيراً ما يحب أن يتخلص من الأوضاع المتبعة والقيود

والذي يعنينا في الواقع هو مقطوعاته الإنجليزية ، ونحب قبل أن نتحدث عن مادتها وعن قيمتها الفنية أن نشير إلى ما اتبعه الشاعر في نظمها ، لأنه لم يجر فيها جميعاً على طريقة واحدة ، إذ أنه لم يتقيد بالطريقة الإيطالية فيها جميعاً ولا بالطريقة الإنجليزية أو الشكسبيرية ، وإن كان فيها محافظاً أكثر منه مجدداً

ويمكن القول بوجه الإجمال أنها جميعاً أقرب إلى الطريقة الإيطالية إلا الحادية عشرة منها ، وهي جميعاً إيطالية الصدر أو الفاتحة ، وهي كذلك جميعاً إيطالية الخاتمة ماعدا الحادية عشرة ، فهي في خاتمتها مزيج من الإيطالية والشكسبيرية ؛ بيد أن ملتن

لم يتقيد في بعضها بإحداث تغيير في القوافي بين الفاتحة والخاتمة بل تركها تنساب كما هي بعد السطر الثامن . ونستطيع أن نقسم مقطوعاته التسع عشرة على النحو الآتي : تسع إيطالية من جميع الوجوه ، وثمان إيطالية ولكن بغير فاصل بين الفاتحة والخاتمة ، وواحدة هي الحادية عشرة بين الإيطالية والإنجليزية ، وهي التي وجهها إلى كرمول ، وواحدة هي التاسعة عشرة أو الأخيرة ذات ذيل بعد خاتمتها . ولم نشر من قبل إلى هذا النوع الأخير ، فنقول الآن : إن هذا النوع الذيل ليس من ابتكار ملتن ، ولكن وقع مثله في مقطوعات الإيطاليين ، وإن كان ذلك مما ندر ، فإن بعض الشعراء كانوا يضيفون سطرين أو خمسة إلى الأربعة عشر سطراً التي تتكون منها المقطوعة إذا لم يستطيعوا أن يعبروا عن المعنى كله في هذا العدد من الأسطر، وكان يعد هذا الضرب معيباً ضعيفاً ولذلك قلما لجأ إليه الشعراء . ولم يخل من هذا الضعف ملتن نفسه في ذلك الذيل الذي أضافه إلى مقطوعته الأخيرة : « إلى مستكري الضمائر الجدد في عهد البرلمان الطويل » ، ففي هذا الذيل ما ينبو عن الذوق من خشونة وعامية وتلاعب باللفظ.

أما عن مادة هذه المقطوعات ، فيجدر بنا أن نذكر ما سلف به القول من أنها قيلت في مناسبات ، ولذلك جمعت بين الخواطر السياسية والدينية والوطنية وما يتصل بالرثاء والحب والمسائل الشخصية . وكانت المقطوعات قبل ملتن تدور على الحب ، وندر فيها ما خرج عن هذا المجال سواء عند الإيطاليين وعند الأليزابيثيين ولذلك مال بعض نقدة الأدب إلى استصغار شأن المقطوعات على العموم ونظرهم إليها نظرتهم إلى التافه من الأشياء ، فهي عندهم من مظاهر العبث واللعب وملء الفراغ بما لا يجدي ، وليس فيها صدق ولا علم ولا فائدة من أي نوع . ولعل لهؤلاء بعض العذر فيما ذهبوا إليه ، فإن شعراء الشباب كثيراً ما كانوا ينظمون خواطرهم في مقطوعات وليسوا جميعاً مجيدين فشاع فيها الضعف والفسولة ، ولكن قدراً منها كان محكم السبك رائع المعنى صادق العاطفة جليل الشاعرية كما يتبين في أكثر مقطوعات سبنسر وفي مقطوعات شكسبير جميعاً على كثرتها ، إذ قد بلغت مائة وخمسين مقطوعة ، وما جعل بعض النقاد يحتقر شأن المقطوعة كضرب من ضروب الشعر إلا ما سأمهم من نغمات الحب الشاكية الباكية في معظمها ، وظنهم أنها ما نظمت إلا على سبيل اللهو وإبراز المقدرة على النظم ، فإن كان في بعضها شيء من الصدق ، ففيها كذلك كثير من المبالغة والكذب !

وجاء ملتن فخرج بالمقطوعة عن مجال الحب وجعلها لكل ما يخطر على قلبه ، فاكتسبت المقطوعة على يده قوة وخطراً وطبعت بطابع الصدق والإخلاص ، وجرت فيها إشارات إلى أمور تتصل بالعلم أو بالفلسفة فألبسها ذلك كثيراً من الجد والفائدة وليس هذا الاتجاه بالأمر الهين في تاريخ المقطوعة إذا ذكرنا أنه أوحى إلى شعراء القرن التاسع عشر أن يحذوا حذوه ، فكان لمقطوعاتهم في الحرية والسياسة وانتقاد عيوب المجتمع وأشباه ذلك من المسائل قيمة عظيمة وأثر بعيد في القلوب والأذهان ما كان يتفق لها لو أنها اقتصرت على التغني بمعاني الحب والجمال . ويتجلى أثر ملتن في هذا التوجيه في مقطوعة وردزورث التي أشرنا إليها والتي يقول فيها شاعر القرن التاسع عشر : « إن انجلترة في حاجة إلى ملتن » والتي يذكر فيها شكواه قائلا : « نحن قوم طغت علينا الأنانية ، فارجع إلينا وارفعنا وامددنا بالمُثل في الآداب والفضيلة والحرية والقوة »

ويحس من يقرأ مقطوعات ملتن أنها نفثات نفس عظيمة وهمسات روح قوية ، وهي على قلتها زاخرة بفيض من الخواطر، ويرجع ذلك إلى طبيعة المقطوعة في بنائها كما يرجع إلى مقدرة ملتن العظيمة على الإيجاز البليغ الذي جعله يعبر بالكلمات القلائل عن المعنى الواسع الكثير الوشائج ، وهي مقدرة جعلها مكولي من أبرز خصائص شعره ، بل جعلها خاصته التي يمتاز بها من أكثر الشعراء ، وهي من ألزم الصفات كما ذكرنا لبناء المقطوعة

وحسبك أن تقرأ في هذه المقطوعات العاطفة الرقيقة التي تعبر عنها النغمة الهادئة الرخية كأنها نسمات الفجر ، إلى جانب الصرخة الصاخبة الدوية كأنها هياج العاصفة أو اصطخاب الموج ، لتعرف كيف استطاع ملتن أن يجعل من المقطوعة شيئاً آخر قوياً مهيباً له خطره وأثره ، وتجد مثالا للأولى في إشارته إلى ما أصابه من عمى وفي توجده على فقد زوجته الثانية ، وتجد

مثالا للثانية فى غضبته لمذابح بيدمنت وحملته على مستكرهى الضمائر من البيوريتانز ، وفى سخريته ممن انتقدوا كتيباته من خصومه . وبين هذا وذاك تقع على نغمات تتصف بالقوة والجلال وهى التى مجد بها أبطال قومه مثل فيرفاكس وكرمول ، والتى دافع بها عن الحرية الدينية والسياسية

بهذه الصفات وأمثالها رفع ملتن القطوعة مكاناً علياً ، فلم تعد كما كانت مجرد أغنيات غرامية رائعة أو مائعة ، وإنما أصبحت هتاف شاعر يهيب بقومه إلى جانب كونها خلجات نفس تتألم وتتفجع كسائر النفوس ، وما أصدق وأجمل كلمة وردثورث التى وصف بها المقطوعة على يد ملتن إذ قال : « لقد أصبحت هذه بوقا فى يديه »

والئن خرج ملتن بالمقطوعة عن نطاق الإليزابثيين ومن قبلهم من الإيطاليين ، واتخذ منها أداة لخواطره السياسية والاجتماعية إلى جانب خطراته المنحصرة فى حياته الشخصية ، فإن تمكنه وصدقه قد جعلا لمقطوعاته فى السياسة والاجتماع من الجمال والسحر ما تسمو به إلى مستوى الآثار الأدبية الرفيعة ، وأعانته بلاغته على أن يلبس الآراء السياسية لباس الأدب الصحيح ، ويضفى عليها رونق الفن وروعته وهو عمل يستعصى على من لم يكن له مثل عبقريته . ولما كانت المقطوعة عند الايطاليين والاليزابيثيين شكاة فى الأكثر من حبيب قاس أو من ضنى الحب وسهده ووجده فقد ألفتها النفوس فى هذا المجال وإن كان قد تطرق إليها بسبب هـذا الفتور والصنعة حتى استصغر شأنها بعض النقدة كما أشرنا .

وبعد خروج ملتن بها عن نطاقها جرأة فى الفن تنهض دليلا على فحولته وصدق شاعريته يضاف إلى ما توافى له من أدلة وذلك فضلا عن كونه فتحاً فى تاريخ المقطوعة صار له ما بعده .

ولقد أشرنا إلى أكثر هذه المقطوعات كلا فى موضعها من سيرته أو فى المناسبة التى نظمها الشاعر فيها ، وكانت مقطوعته التى ناجى فيها البلبل أول شبابه هى باكورة مقطوعاته الانجليزية وتلتها المقطوعة التى نظمها بعد ذلك بقليل بمناسبة بلوغه الثالثة والعشرين من عمره ، وكلتاهما من المقطوعات التى تدور حول شخصه ، ومن أشهر تلك المقطوعات الشخصية ما نظمه حين أصيب بفقد بصره ثم تلك المقطوعة التى رثى بها زوجته الثانية .

أما مقطوعاته العامة فأولها مقطوعة جميلة لم نشر إليها من قبل وهى التى اتخذ عنوانها « حينما أزمع مهاجمة المدينة » وكان ذلك سنة ١٦٤٢ إذ تهددت جنود شارل مدينة لندن ، وهو يخاطب فيها الفرسان ألا يزعجوه فى مأمنه وألا يزعجوا الشعر فى منزله وجزاؤهم على ذلك أن يخلد أسماءهم بثنائه ويشير فيها إلى ما فعله الاسكندر الأكبر حين حطم مدن مقدونيا فانه استثنى البيت الذى كان يعيش فيـه من قبل الشاعر بندار ، وكذلك فعل ليساندر القائد الأسبرطى فانه أنقذ أثينا من الدمار لأنها أنجبت يوروبيدس وكان القائد قد سمع بطريق المصادفة شيئاً من شعره . ومن أشهر هذه المقطوعات العامة مقطوعة عن مذابح بيدمنت وتلك التى مجد فيها فيرفاكس ثم تلك التى رفعها إلى كرمول .

ولسنا بحاجة إلى كثير من القول لبيان قيمة تلك المقطوعات جميعاً من حيث بلاغة الشعر فيها وروعته ، فان خصائص شعر ملتن كما أسلفنا كانت مما يوائم بناء مثل هذه المقطوعات ؛ ولقد كانت جزالة اللفظ مع إشراقه وجماله ووجازته وأداء المعنى المراد لا أكثر منه ولا أقل من أبرز خصائص شعر ملتن ، وكذلك كان من خصائصه قوة تأثيره فى النفوس بمـا توحيه ألفاظه من رؤى وأطياف ومايتداعى إلى الخاطر عند سماعها من معان وأخيلة كأنما كان لألفاظه قوة خفية سحرية لا تنكر وإن كانت لا تدرك ؛ أضف إلى هذا موسيقى عذبة ناتجة من ائتلاف الألفاظ وسوغها وإضافة بعضها إلى بعض على صـورة تكسب كلا منها جمالا لا يكون له فى غير هذا الوضع وتجعل منها فى مجموعها لحناً عجيباً تستشمره النفس كما تستشمره الأذنان ، ويرى أكثر النقاد أن هذه الخصائص واضحة فى هاتيك المقطوعات لم تشذ إلا فى أسطر قليلة أو فى كلمات معدودات كانت أقرب إلى لغـة العوام فى مقطوعة من المقطوعات التى هاجم فيها الشاعر منتقدى فلسفته فى الطلاق من خصومه .

(يتبع) الخفيف

عنـــد القمة الأولى . . .

للأســـتاذ محمد العلائى

[أخى سيد قطب :

كان فى حسابك وحسابى أنى سأبعث بهذه القصيدة أو بمثلها من « لندن » ولـكن ! ضحكت الأقدار وبعثت بها من هذه القرية المصرية الهامدة التى مزقت أهلها مترية الأنفس ومجاعة الأفواه !! .. فهل يأذن أستاذنا « الزيات » وهو والد كريم ولمحتى حق فى « رسالته » هل يأذن فى أن أشهد على وزارة المعارف المصرية وموقفها من « بعثى » بعد أن أصبحت حقاً لا يقوى على اغتصابه إلا من أعفى نفسه من الواجب والضمير . أريد أن أشهد على وزارة المعارف وعلى شعورها بقضيتى أولئك الذين مسنى عطفهم أو عنايتهم من أساتذتى بالجامعة وخارجها ومن أصدقائى الأقربين ...

وأشهد وزراء المعارف وذوى الأنفس والآراء فى الشرق العربى على وزارة المعارف المصرية وكيف أفقدتنى الثقة فى وطنى وبيئتى مما جعل غايتى فى الحياة أن أخرج من « مصر » التى أبت على أن أتمتع من الدنيا بالماء والهواء وأن أكون عاملا أميناً مخلصا فى قضية الحق والخير وأن أخدم طائفتى من أبناء الظلام فأعوضهم عن ظلمة البصر نور البصيرة .

فلتحتمل وزارة المعارف المصرية تبعة انزوائى فى هذه القرية أو هجرتى من هذا الوطن الذى لم تشملنى وزارة معارفه بذرة من العطف الذى شملتنى به وزارتا المعارف الأنجليزية والأمريكية] .

« العلائى »

طال عهد النوى فسيروا أمامى ... ودعونى فلن يطول مقامى !
ودعونى فما انتهيت ولـكن ... أوهن الخوف والرجاء عظامى
وازدرائى لما أرى لم يدع لى ... أملا فى الثرى ولا فى الغمام
فرّق الصحو مهجتى وطوانى ... ألم السهد بين قوم نيام
قصّر العزم خدعة بعد أخرى ... فى شعور مفزّع بالحمام !
كم طويت الشعاب أحمل نفسى ... تحت عبء الرغاب قيد الظلام
وسق الشوك فى الأجادب مائى ... وترامى على الأفاعى سلامى !!
أستر الفحش فى عيون الليالى ... وأدارى ســـفاهة الأيام
أستحث الخطى صباحاً فتبدو ... عثرات المساء فى أقدامى
مسرف لا أريد غير بعيد ... يائس تســتخفنى أوهامى
وبصدرى مع الشقاء صراع ... بين حب المنى وبغض الزحام
كنت أهـوى امتـداد خطوىَ حتى
تتـــوارى مــواطن الأحـــلام
غير أنى أحس ضعفاً ... وهذا ... مجمع الشوق والعواطف دام
وبنفسى تســاؤل وملال ... ولجفنىّ رغبة فى المنــام

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... هامد الحس من صروف الليالى
من طريق أحـلامه عبرات ... فى ظلام الـكهوف والأدغال
وقطيع دماؤه من صـديد ... أفرزته نجاســـة الأذيال
حمل الخزىَ فى وجوه عليها ... بصقات الزمان غـير مبال
فى عظامى تقزز . . وبنفسى ... غثيان من قوله والفعال
فى حماه عشقت سود الأمانى ... وشربت القذى طرح الملال
وعدمت الصديق أهفو إليه ... فى ذرى شوقه ومسرى اكتمالى
أنزع الشوك من رؤاه ... ويرى ... زهرة الشر من رياض انفعالى
تسكب النور فى المدى وتوالى ... دوحة الخلد فى سكون الـكمال
وعدمت الملاك يشرع ذاتى ... فى سلام الربى ومجد الأعالى
فوق عرش من المودة يندى ... بشذى رحمتى وفيض ابتهالى
سـكنت روحنا إليه وغابت ... فى أناجيل مّن وراء الخيال
ضـل عنى رجاؤها رغم أنى ... صـانع الوهم خالق الآمال
واحتوانى السكوت رغم لسان ... عرفته مضـــارب الأمثال

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... أنزع الحس من رميم الشقاء
وكأنى بهم مقـــابر موتى ... بعثرتها عواصـف الصحراء
وأرى بالعظام جمرة سُخرى ... وبأشـلائهم قروح ازدراء
عَفَن فاح من جماجم أهـلى ... أشبهت ريحه صديد البلاء
ذكرتنى الرمام عهـداً تولى ... وزماناً مضى لغير لقـاء !!
ذكرتنى بأنفـــس وأفاع ... شرقت بالزعاف تحت سمائى
مســنى غدرها فأضحك همى ... ثم أهدى لهـا الدوارَ وفائى
وبأخرى منحتها من وجودى ... نشوة الأمن واحتساب الرجاء
ورمتـــنى بشرها فوقانى ... شر نفسى وشرة الأهـواء
وبأخرى تظامأت تحت حسى ... فســقاها تنبلى وحيائى
شربتنى وحين خارت قواها ... علمت أن حكمتى فى دمائى

وبأخرى وأخريات تـلوى ... تحت ماض يمور فى أحشائى
آه من يبعد الرمام ويقصى ... فضلات البلى ودود الفناء
غير أن الرمام خـير وأزكى ... من ذويها بـعالم الأحياء

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... بين أجداثها ومسرى الحياة
ومضى النـاس أنفسـاً تشتهى
جيفة الأرض، وامتصـاص الرفات
دنسوا مورد الحياة وفاتوا ... رجس أفواههم على الثمرات
عشت فيهم بظاهر من شعورى ... مشمئز النهى رضى السمات
ثم ضمدت بالزعاف جراحى !! ... وتمنيت للأصم شكاتى !!
يا لنفسى بها نبىٌّ وطفل !! ... فهى فوق المدى وبين اللدات !
تسع الكون غاية وابتداء ... ولها بعد ذاك فى التافهات !!
يالنفسى بها بشـائر غيث ... يغمر الجدب ماؤه بالصِّلات
وبعد الظلال تهوى إليها ... أنفس الظامئين للرحمات
يا لنفسـى بها بشائر نجم ... ينفح الليـل نوره بالهبات
يكشف الستر عن كثير ويغشى ... فى الدياجى مهاول الحرمات
يا لنفسى جهلتها ... كيف غيرى ؟!
ويح من خاض وهمه فى صـفاتى
خاطرى كالسحاب ليس مقيما ... هو فى الصبح غيره فى الغداة
أنكرونى مليًّا .. ليت شعرى ... لو تراءت لهم معالم ذاتى !

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... ليس محواً وليس حلم اتحاد
ذاك ما كنت أرتجيه وهذا ... فوق ما أرتجى وفوق مرادى!!
تلك نفسى وذاك غير قليل ... مائيَ النور والحقيقة زادى
فرحة الغيب أشرقت فى ضميرى ... وينابيع راحها فى ازدياد
أومض الحق بالرجاء وهبت ... نسمة الروح فى كيان الجماد
لمحات تمايلت فى سناها ... راسـيات المكان والآباد
لمسات من الكمال وأخرى ... تاه فيها المدى وذاب فؤادى
ونشـيد من الجمال تبدى ... فيه أحلام غايتى وانفرادى
دوحة الخير هذه ... كم تراءت ... فى منامى ظلالها وسهادى
شهدت مولد الزمان وألقت ... فى يديه بما ترى من أياد !
ذلك البحر قطرة من نداها ... بين هذى الربى وتلك الوهاد
مست الكون يوم كان فألقى ... حظه من تكامل وامتداد
سكرت مهجتى وغابت رؤاها ... ويك إنى أخاف سفح ارتدادى
نشوة الحلم فى حسابىَ أهدى ... من يقين بواقع الأصفاد

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... بين هم مضى وحلم كِذاب
منذ حين دفنت أمسى حتى ... زهرات ورثتهـا أحبابى
ورسـوماً تفوح منها معان ... نسيتها لدىَّ ريح الشباب
وتناسـيت أرضنا وهواها ... وتجاهلت أننى من تراب !
ثم أسـلمت للسماء رجائى ... وتخيرت فى السما محرابى
وتساميت فى المدارج حتى ... مست الغيب فى العلا أسبابى
وارتوى خاطرى وأوشك ينسى ... موبقات الصدى وراء السراب
واستوينا على السكينة لكن ... عاود النفس حبها للعذاب
يا لنفسى تذكُّرٌ واشـتياق ... نازعاها إلى حضيض الرغاب
هاهنا الدوح والظلال فمالى ... أتشهى منابت الأعشاب !!
لى فؤاد يعاف قبل اكتفاء ... مستطار يهيم بعد ارتياب
ظامة الطين حركت فى ضلوعى ... صور الناس وارتياد الشعاب
ضجة الركب لم تزل تحت سمعى ... وأمانيه لم تزل فى حسابى
فوق هذا الأنام روحىَ لكن ... لم يصل بى مكانة الأرباب

ذهب الركب والتقيت بنفسى ... أستشف المدى وروح الزمان
أنطق الوهم كل أعجم حتى ... كلمتنى صخور هذا المكان !؟
وتوهمت أن للدوح سمعـاً ... فمزقت الشجىَّ من ألحانى !!
وتخيلت فى النجوم عيوناً ! ... فكشفت الجراح قبل الأمانى!!
وحسبت الرياح تعقل خطبى ... فأفاضت سريرتى وبيانى !!
وتأملت ... لم أجد غير نفسى!! ... وجماد غمرته بالمعانى !!
وتراجعت أسترد شعورى ... فأهالت جمودَها فى كيانى
ضل فى عثرة الجماد ذكائى ... بعد ما ضل فى بنى الإنسان !!
كم تمنيت غير شىء وخاضت ... فى فضاء مفرغ أشجانى
كم ركبت الشقاء نحو ضلال ... وتوسدت فى الدجى أدرانى
كم تلهيت بالـكبائر حتى ... طفر الرعب من دم الشيطان !!
كم تطهرت بالقداسـة والنـور وفاض الحياء من إيمانى !!
أنت يامن خلقتنى كنت أولى ... بضياعى من الثرى والهوان !!

أنا راض بما قضيت ولكن   عاتب أخرس الحياء لسانى

ذهب الركب والتقيت بنفسى   نتشاكى مذاهبى ودِيارى
أطفأ اليأس ما أمامى حتى   مثل النور بعد شمس النهار!
وجم القلب ... لا صلاة عليه   لا. ولا قدرة على أوزار!
وانقضى الخوف والرجاء وزالت   شائقات الرضى ففيم انتظارى؟!
لم تدع موجة الصعود لحسى   رمقاً أهتدى به فى انحدارى!!
كلما لاح فى الأصائل معنى   طمسته شوائب الأسحار
أذهلتنى مواقف الحظ منى   وجنونى بحكمتى واختيارى
راعنى ذلك التصادف حتى   خلت فيه تصرف الأقدار
ليتنى لم أذق تجارب دهر   ســلبتنى إرادة الأحرار
حلقات من التماسك هاجت   فىّ أوجاعها خطوب انهيارى
شرقت بى محافل ستباهى   بازدرائى لها وتبكى احتقارى
قيم الأرض وهى منها أثارت   فى سمائى رواسب الأغوار
لم أزل أذكر السماء فتهوى   فىّ أحلامهــا لغير قرار!
بين جنبى خفقة لو رأوها   لأصــابت قلوبهم بالدُّوار

ذهب الركب والتقيت بنفسى   فى مهب الأسى ومهوى ارتفاعى
وذكرت الشقاء فى اليم حتى   ذهبت ريحه ومال شراعى!
وتوسدت خيبتى ورجاء   مزقته وســاوس الأوجاع
وتواريت فى بقايا كيان   أتملى فضاءها وأراعى!
بعدت غايتى وقصر عزمى   حرَّجُ الضعف واشتباه الدواعى
وجنونى بمــا شربت عليه   غير كأس من القذى والخداع
وانطوائى على فراغ وخوف   سكرات المنى وهول الصراع
وانتفاضى لما أهاجت بصدرى   عثرات الجدود والأوضاع
من جراح تمرغت فى دماها   سابحات البلى ومرضى الأفاعى
وخطوب تعفنت واشتهتها   آكلات الرميم دود البقاع
ضاقت الأرض والسماء ومالى   غير نفس قليــلة الأطماع
غاية العيش عندها أن ترانى   فوق مرعى العيون والأسماع
أهب الحب والرجاء وتسرى   نفحات السلام خلف شعاعى
ويح هـذا المدى أمامىَ أمسى   ووزائى غدِى ففيم اندفاعى؟!

ذهب الركب والتقيت بنفسى   فى اشتياق عليه لون الفراق!!
وزماناً ذكرته حين هبت   ريح أيامه على آفاقى ...
وحياة أضمت حظى منهــا   فى جنونى بها وفى إغراقى!
وشــباباً زويت يومى عنه   بانطوائى على غد واحتراقى!
وأمانى ذهبن إلا هشيــما   ليس فيه تفاؤلى واشتياقى! !
وأمانى تشربتنى ومصت   دفء قلبى وحكمة الأعماق!
أذهلتنى عن الحياة ودست   فى شعورى تمائم الأخفاق!
وأمانى تهافتت يوم صحوى   صوراً من تزيدى واختلاقى!
وأمانى أرقت فيها وجودى   ثم جاءت فلم تجد أشــواقى!
وأمانى من الذرى وإليها   طال فيهــا مع المدى إطراقى
علمتنى الذرى محبــة نفسى   وكفى الغيرَ بسمةُ الإشفاق!
علمتنى وباركت فى طموحى   نشوة الكبر ساعة الأغداق!
فسلام على الذرى ... ولنفسى   ما تمنيت من جزاء وفاق!
خفق الحظ بالجنــوح فإما   لغروب خطاى أو إشراق!

(الزقازيق — كفر الحمام)   محمد العمرلى

أمثولة قصصـيـة . . .

للأسـتاذ نجاتي صدقي

زارني صديق أديب وقال لي : إنني أميل إلى كتابة القصة ، لكنني غير متمكن من قواعدها ، فهل لك أن تعينني على ذلك ؟ أرشدني إلى أساليبها ، وأطلعني على كيفية بنائها ، وكن على يقين من أنني لن أنسى لك هذا المعروف ما حييت .

فأجبته : القصة فن قائم بذاته يا صديقي يعتمد بالدرجة الأولى على مواهب القاص ، ودقة إحساسه ، ومستوى ثقافته ، ومدى اختباره للحياة ، وعلى ذلك تراني عاجزاً عن تلبية رغبتك .

قال : إنني درست بعض قواعد القصة ، وقد رسخت في ذهني ، لكنني لم أوفق بعد في وضع قصة قوية في عقدتها ، مثيرة في خاتمتها .

قلت : إذا كنت درست فن القصة ، فكيف تحدده ؟

قال : استناداً إلى ما رواه أبو العباس الشريشي في (شرح المقامات الحريرية) : « فالقصة هي نقل الحديث من صاحبه إلى طالبه » ... وجاء في مقدمة كتاب (جمع الجواهر في الملح والنوادر) لأبي إسحاق الحصري القيرواني : « أن القصة هي التي ترتاح إليها الأرواح ، وتطيب لها القلوب ، وتشحذ بها الأذهان ، وتطلق النفس من رباطها فتعيد بها نشاطها إذا ما انقبضت بعد انبساطها » ... وقال بديع الزمان الهمذاني في (المقامات) : « وربما كان للقصة سبب لا تطيب إلا به ، ومقدمات لا تحسن إلا معها فعلى المحدث أن يسوقها » .

قلت : إن ما ذكرته لي من أقوال في القصة لأدباء العربية الأقدمين لا يساعدك على وضع قصة ... فللقصة العصرية خمس قواعد فنية دقيقة وهي : الصدر ، والعقدة ، وتطور الحوادث ، والقمة ، والخاتمة .

قال : اضرب لي مثلاً في مادة تصلح لأن تؤلف قصة، وطبّق عليها هذه القواعد ، مرحلة فمرحلة .

فارتجلت هذا المثل البسيط : كان لعزيز جار ، وكانت علاقتهما جد سطحية ، لا تتعدى تبادل التحيات في الصباح أو المساء ، والتبريك في المواسم أو الأعياد ، لكنهما كانا يجتمعان في كثير من الأحايين في حلقة ذكر ، أو حفلة مولد ، أو فرح بمناسبة عقد قران ، أو طهور أطفال ، حتى وفي هذه الاجتماعات العامة كانت علاقتهما لا تتجاوز التحية أيضاً ، والسؤال عن الطقس ، والأحوال العامة ، والثناء على صاحب الدعوة ، والتنويه بكرمه ولطفه .

وفي فجر أحد الأيام ، استيقظ عزيز كما استيقظت الحارة كلها على عويل صبايا ، وصراخ أطفال وولولة عجائز ، فعلم من ذلك أن أسرة من الأسر أصيبت بمكروه ، فأطل برأسه من النافذة ، فشاهد رؤوساً كثيرة تطل من نوافذها أيضاً ، متتبعة مصدر الأصوات ، مستفهمة عما حدث ... وبعد قليل من الوقت نُمي إلى عزيز أن جاره قضى نحبه ، فتمتم قائلاً : لا حول ولا قوة إلا بالله ... إنا لله وإنا إليه راجعون .

ورأى أن الواجب يدعوه لأن يسير في جنازة جاره عملاً بالتقاليد المرعية منذ قرون . فتعطل عن عمله في ذلك النهار ، وخرجت الجنازة حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، وسار عزيز خلفها ، وكان الطقس حاراً ، والشمس تسطع في كبد السماء ، وبعبارة أخرى كان ذلك في العشرين من تموز (يوليو) ، وكانت درجة الحرارة وقتئذ تشير إلى الأربعين سنتغراد ، وهي الدرجة التي يكتب في الموازين إزاءها كلمة (سنيغال) ... أي ما فوق حرارة الإنسان .

سار عزيز خلف نعش جاره . وسار إلى جانبه شخص لا يعرفه ، ولما كانت المقبرة تقع على مسيرة نصف ساعة رأى ذلك الشخص أن يقطع الوقت بالتحدث إلى عزيز ، فاستهل كلامه قائلاً : حر لا يطاق ! ... فأجاب عزيز : جهنم ...

— إن عزرائيل لا يرحم ! ...

— لا يرحم المشيعين فقط ... أما الميت ، فسيان عنده الحر أو البرد .

— أنت تعرف المرحوم ؟ ...

— أعرفه معرفة سطحية مع أننا جيران ... غير أن المشهور عنه في الحارة أنه كان دمث الأخلاق .

وهنا اعترضت الجنازة سيارة شحن فعرقلت حركة المرور ، وسدت الطريق على باقي السيارات فاختلطت في بعضها ، مما اضطر المشيعين إلى الوقوف مدة عشر دقائق ... وكان عزيز يكاد يجن من شدة القيظ فتارة يجفف العرق المتصبب من وجهه بمنديله ، وتارة يضع هذا المنديل على رأسه ، ويغطيه بطربوشه ، وطوراً يرفع الطربوش والمنديل ويضع راحته على رأسه ، وطوراً آخر

يغتنم فرصة وجود شخص ضخم الجسم يسير أمامه فيستتر في ظله ...

ثم تابعت الجنازة سيرها ، وتابع رفيق عزيز حديثه قائلا : السير وراء الميت رحمة ...

فأجابه عزيز : لا شك في ذلك ، غير أنني أفضل تشييع الجنازات بالسيارات .

— ماذا ؟ ... بالسيارات ؟ ... هذا لا يجوز أبداً .

— لماذا ؟ ...

— لأن الناس يستنتجون من ذلك أن المشيعين يريدون التخلص من الفقيد على عجل ...

وبلغت الجنازة مسجداً في الطريق ، فوقف المشيعون ، وأدخلوا النعش في المسجد ، ودخل بعضهم في أثره ليصلوا على روح الفقيد ، وظل عزيز واقفاً خارج المسجد وكان يحس أن رأسه سينفجر من شدة الحر ، فيشرب ماء ويتحول هذا الماء في لحظات إلى عرق منهمر .

ثم يخرج النعش ، وتتابع الجنازة سيرها إلى أن تصل المقبرة .

وبعد أن أنزل الميت في لحده ، ووورى التراب وقرأ الشيخ عبارات التلقين المعتادة ، وقرئت سورة (الفاتحة) على روحه ، وقف أهل الفقيد في صفوف طويلة ليتقبلوا التعازي ، وكان عددهم يناهز الخمسين ... ووقف الناس في صفوف طويلة أيضاً ليقوموا بواجبهم في التعزية ... ولسوء حظ عزيز أنه كان يقف في آخر تلك الصفوف .

وبدأ الناس يصافحون أهل الفقيد ، فرداً فرداً قائلين : عظّم الله أجركم .

فيجيبونهم : كرّم الله سعيكم ...

وبعد نصف ساعة على وجه التقريب ، جاء دور عزيز في تأدية واجبه ... وكان منظره يبعث الألم في النفس .

وعاد إلى بيته منهوك القوى ، وهو يشعر بدوران شديد ، فانطرح على فراشه في شبه غيبوبة ... وعند فجر اليوم التالي استيقظت الحارة على عويل صبايا ، وصراخ أطفال ، وولولة عجائز ... فتساءل الناس عن الخبر فقيل لهم إن عزيزاً قضى نحبه ... وكان موته ناتجاً عن ضربة شمس ! ...

***

قال لجليبي : وإليك الآن مقاييس هذه الأمثولة القصصية :

الصدر : إن عزيزاً له جار ، وكانت علاقته به سطحية ، لكنهما كانا يجتمعان في الحفلات والمواسم ، فمات جار عزيز واقتضت التقاليد أن يسير عزيز في جنازته .

المقدمة : إن التقاليد تقتضي أن يحتمل عزيز وطأة الحر الشديد ، وكان يسير وراء النعش متبرماً ، غير راض عن تأدية هذا الواجب .

تطور الحوادث : اضطراب حركة المرور ، وتوقف الجنازة عن السير مدة عشر دقائق ، والدخول بالميت إلى المسجد .

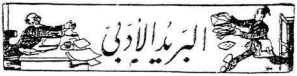
القمة : وقوف عزيز في صفوف المعزّين وهو في حالة شديدة من الأعياء ، وانهيار القوى .

الخاتمة : موت عزيز :

ارتاح زائري لهذه الأمثولة في فنّ القصة ، ونهض قائلاً : سأحاول وضع قصة مبنية على هذه القواعد .

قلت : وفقك الله ... ولكن لا تنس أن تقدر المواهب ! ...

نجاتي صدقي



بين (أومن بالإنسان) و (هذى هى الأغلال):

لقد أخذتني فرحة هزتني حين تصفحت بسرعة كتاب (هذى هى الأغلال) للأستاذ عبد الله القصيمى النجدى ، فرأيته يتناول بالشرح والتأييد القضيتين اللتين يدور حولهما فكرى ويكاد يقف على الدعوة إليهما قلمى منذ ست سنوات أو تزيد ، وهما قضية « الإيمان بالإنسانية » وقضية الاعتقاد أن « الحياة صادقة » وذوو الفلسفات الذين يزرون عليها وينادون بالحرمان من ينابيعها كاذبون ، لأننى أعتقد أن اعتناق هاتين الفكرتين أمر جدير أن يحدث انقلاباً عظيماً فى نظرة الناس إلى أنفسهم وإلى الحياة وإلى واهب الحياة ، إذ هما الشىء الواحد الجديد الذى يمكن تقديمه للبشرية جميعها الآن ويمكن اللقاء بينها فى مجاله ، ويمكن به إمدادها بكثير من عوامل التأميل والإسعاد والتفاؤل .

فما إن رأيت أن الفصل الأول من (هذى هى الأغلال) عنوانه (لقد كفروا بالإنسان — الإيمان به أول) حتى قلت الحمد لله ثم الحمد لله ! إذ أرى عالماً من نجد — وما أدراك ما علماء نجد فى محافظتهم ! — يعتنق الفكرة ويدعو لها بحماس ويصدر بها كتابه .

وما إن رأيت كذلك أغلب فصول الكتاب يستعرض أقوالا معدودة فى سجل الحكم والفضائل عند كثير من المسلمين وتنحى عليها بالنقض ثم تجعلها فى سجل الرذائل المدمرة للحياة والدين ، حتى ثنيت الشكر لله على أن ما سبق أن قلته فى مقالات (الحياة صادقة) فى هذه المجلة فى أوائل سنة ١٩٤٢ وما بعدها قد وجد صدى مدوياً . ولكن ما لبثت هزة الفرح والابتهاج أن انقلبت إلى أسىً ووجوم واشمئزاز ! إذ رأيت الكتاب يخلو من أدنى إشارة إلى تسجيل سبقى فى هذه الدعوة ، وإذ رأيت صاحبه مع ذلك يحدث ضجة مفتعلة حوله ، ويصدر غلافه بهذه الجملة « سيقول مؤرخو الفكر : إنه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل ... » وإنه « ثورة فى فهم الدين والعقل والحياة ... » كأن مؤرخى الفكر عميان لا يتلمسون مصادر الآراء !

وإنى أعجب كيف يجرؤ كاتب أو مفكر يحترم رأى الناس ويستحيى من نفسه أن يسبق التاريخ ويصدر حكمه على عمله بهذه الدرجة من الافتتان والزعم !

إن المفكر الواثق من أنه أتى بجديد حقاً يضع آثاره بين يدى التاريخ فى صمت ويدع له أن يحكم ولا يتعجل الحكم حتى تملؤه الأيام سواء فى حياته أم بعد مماته . والمفكر الأمين الثقة الغيور على الحق وحرية الفكر يترفع عن أن يغمط حق غيره وعن أن يغطى جهود من سبقوه بالدعاوة الجريئة لنفسه ، لأن هذا إن جاز فى مجال الإعلان عن المتاجر والمهن فلن يجوز فى رحاب الفكر والخلق

ولكن ما للمؤلف وللحديث عن الأخلاق ، وهو كما روى عنه الأستاذ سيد قطب فى مجلة السوادى يرى « أنه يجب أن تنفى العنصر الأخلاقى من حياتنا ، فالحياة لا تعرف العناصر الخلقية ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء ... » .

ومما زاد أسفى أن أرى المؤلف يتجاهل حين سأله الأستاذ قطب أن يكون قد علم بسبقى إلى الفكرة . فعلى فرض أنه لم يطلع على (أومن بالإنسان) بعد ظهوره مجموعاً فى سنة ١٩٤٥ فهل يكون من المقبول أو المعقول أنه لم يقرأ حتى بعض مقالات (أومن بالإنسان) التى تقارب العشرين حول تلك القضية أثناء بسطها فى « الرسالة » وأحياناً فى الثقافة فى مدى خمس سنين تقريباً ، ولا أزال أبسطها للآن ويتناولها بعض الكتاب بالمناقشة ؟ أم هو يزعم أنه لم يقرأ « الرسالة » أيضاً طول هذه المدة ! !

ولئن كان سرورى بانتشار الفكرة برغم انتحال ناشرها لها قد قعد بى ما يزيد على شهرين بعد اطلاعى مصادفة على كتاب (هذى هى الأغلال) لدى الأستاذ الجليل محب الدين الخطيب ، دون أن أنبه القراء ، يضاف إلى ذلك أنى كنت على ثقة من أن النقد اليقظ سيرد الأمر إلى صاحبه ... لئن كان ذلك هو ما قعد بى عن التنبيه فإنى حين اطلعت على مقال الأستاذ سيد قطب فى مجلة (السوادى) فى الأسبوع الماضى ورأيته يكشف عن خبايا كبيرة فى آراء القصيمى الشخصية وسلوكه السياسى نحو محطمى أمجاد الاسلام والأديان ومهدرى كرامة الانسان ... شعرت أن الواجب يقتضينى أن أنبه القراء إليه .

ولعلى أجد من الوقت ما يسمح بتتبع الالتواء الذى خرج به المؤلف عن جادة الفكرة الأصيلة التى تبناها فى حياة أبيها ...

عبد المنعم خلاف

إلى الأستاذ حسنين مخلوف :

قرأت شاكراً ما كتبت وكتبت اليد ذات السوار وكتب الأستاذ فؤاد السيد خليل ، ورضيت ووافقت في الجملة ، وأنا رجل لا أكره النقد ولا أطيل النزاع في أدبي وأسلوبي ، لأني أعرف من نقائصهما أضعاف ما يتنبه له الناقدون ، وما ادعيت لها الكمال قط ، ولكني أنازع فيما أجد فيه خروجاً على الجادة ومضرة للناس كقولك : « ولعلي أصدقك ، وقد كنت في ماضي حياتي معلماً في مدارس البنات ، فهذه المخاوف التي استوت على ذهنك كنا نتصورها ، أو قريباً منها ، حتى إذا وجدنا أنفسنا في هذا الوسط ، أحسسنا أن هؤلاء البنات بناتنا ، والمعلمات أخواتنا ، وزال هذا الخوف الأسود من مشاعرنا ، وصارت الحياة عادية ، وهذا شأن سائر المعلمين في مدارس البنات

« فرفقاً بالناس وحنانيك ، وإنصافاً ، يا حضرة القاضي ، فالأمر إن شاء الله على ما تحب بفضل القدوة الصالحة ، والتهذيب الصحيح ، وإلا فلتغلق مدارس البنات ، والسلام »

يا أستاذ ، إن القضية أهم من أن نضيع الحق فيها في غمرة المجاملات ، وإن لها من الأثر في حياتنا ما يوجب علينا إيجاباً الكلام فيها بصراحة ووضوح ، كما يتكلم الطبيب في المرض ابتغاء علاجه ، وعلى ذلك أقول لك إننا ، وما قلت (نا) على سبيل تعظيم نفسي ، بل أردت الجمع الحقيقي ، وأنا أتكلم عن نفسي وعن كل من قال أنا عربي ، وكل من شهد أنه لا إله إلا الله ، وأسوق قضايا لا أظن أن في الدنيا عربياً أو مسلماً يعارض فيها .

أقول لك : إننا لا نجد مدارس البنات في الشام على ما نحب ، بل على ما نكره أشد الكراهية ، وعلى ما نألم منه ونشكو ونستغيث ، وإذا فتشنا عن القدوة الصالحة في مصر وجدنا مدارس مصر أدهى وأمر ، ووجدنا أن مدارس البنات في الشام إذا قيست بمدارس مصر كانت مساجد ، وأشهد أنه ماجاءنا هذا الذي نشكو منه إلا من مدارسكم ومجلاتكم وأفلامكم . ولا تحسب أني أتعصب للشام ، ولا تأخذك عصبية لمصر ، فأنا أيضاً مصري الأصل طنطاوي ، ولقد أحببت مصر وعشت فيها زمناً ، وأنا قادم إليها الآن لأعيش فيها زمناً آخر ، ومن محبتي لها أذكر عيوبها ...

ونحن ، يا أستاذ ، نريد العلم للرجال وللنساء ، ومن ذا الذي لا يريد العلم ؟ ولكنا نريد الدين أيضاً ورضا الله ، ونريد الأخلاق والعفاف والشرف ، ولا نستطيع أن نصدق ولو أكدت القول لنا ، أن في الدنيا شاباً متدفق الشباب رجلا ناضج الرجولة ، يعيش بين بنات ناضجات الأنوثة ، كاشفات الوجوه والأيدي والسوق يقفزن أمامه ويلعبن ، ويمزحن ويضحكن ، ويقرأن عليه في الدروس أشعار الحب والغزل ، ويقرأن وحدهن هذه المجلات المصورة الملعونة ، ويرين هذه الأفلام الدنسة ، لا يصلين وكيف يصلين مكشوفات العورة ، ولا يعرفن الحلال ولا الحرام ، ثم يحس أن هؤلاء البنات بناته ، وأن المعلمات أخواته ، وتصير الحياة عادية ، ويكون هذا شأن سائر المعلمين في مدارس البنات ، هكذا على التعميم بلا استثناء !

إذا كانت هذه الحياة عادية ، ليس فيها شيء غريب ولا شاذ ، كانت قوانين الطبيعة التي وضعها الله ، وكانت أحكام العقل ، وكانت مقررات الشرع هي الشاذة الغريبة ، فانظر رحمك الله ما تقول !

يا أستاذ ، أنت رجل مسلم ، فهل تعتقد أن الله حرم شيئاً عبثاً ، ومنعه لهواً وتسلية ، تعالى الله عن ذلك ، أم لحكمة بالغة ، ومنفعة شاملة ؟ وهب أن الحكمة من أمر أو نهي خفيت علينا ، فهل يملك مسلم تعدّي حدود الله ؟ وإذا هو استحل ما حرم الله ، فهل يبقى مسلماً ؟

فقل لي : هل يجوز في دين الله أن تعيش ويعيش الشباب في هذا الوسط ، ولو كان المستحيل وصارت الحياة عادية ، ورأيت البنات كبناتك ، والمعلمات كأخواتك ؟ أريد الحكم الفقهي الشرعي لا أريد الآراء والخطابيات، فإن مصر دينها الرسمي الإسلام!

وهل يجوز وهذا هو حكم الله ، والغرائز بعدُ موجودة ، والميول قائمة ، والنفس أمارة بالسوء ، والشيطان عامل للشر كادح ، أن تقيم وزارتكم مهرجاناً رياضياً في أول الصيف الماضي ، نرى صورة له في مجلة مصورة ، فنرى من التكشف (تكشف البنات اللائي هن كبناتك) . ومن الأوضاع الرخيصة القظيعة ما يذكر بأخبث ما يشاهد في السينما الخليعة ، وأن تفتح مسبحاً للبنات ونبصر صورهن منشورة وهن يسبحن فيه أمام الرجال ؟



دعوة في وقتها :

الرســـالة الخالدة . . .

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا
الأمين العام لجامعة الدول العربية

عرض وتعليق

للأســـتاذ عبد المنعم خلاف

— ٣ —

وقد بين المؤلف أخوة الذمة والعهد وحقوق الذمى وواجباته مما يتضح منه أن غنمه أكثر من غرمه . وبين الفرق الكبير بين نظام الذمة الإسلامى ونظام الحماية الحديث الذى كل همه الاستيلاء على المواد والاستعلاء على الأقوام ، وبين أن أى عهد بين المسلمين وغيرهم هو فى كفالة الله وشهادته عليه ، فهو فى حماية العقيدة وحراسة الضمير الناصح المخلص الذى لا يخدع ولا ينافق .

فهل يجوز هذا فى شرعة العروبة وغيرتها وشهامتها ؟ هل يجوز فى دين الدولة المصرية الرسمى ؟ هل يجوز عند أهل العقل الذين يعلمون بعقولهم ما هى نتائجه وإلى أين يوصل ؟

أهذه هى القدوة الصالحة ؟ أهذا هو التهذيب الصحيح ؟ أنصف أنت أيضاً ، فما يطلب الإنصاف من القضاة وحدهم ... إنه ليطلب من المفتشين !

أما القصة التى انتقدتها ، فإنى أحلف لك بالله الذى لا يجرؤ على الحلف به كذباً مسلم ، إنها واقعة وإنها ليست متخيلة ، وإنى ماصنعت فيها إلاما يصنعه إذ يكتب القصة الواقعية الأديب ، وإن الطالبة كتبت له الشعر وزارته فى الدار ، ولك أن تصدق أو تكذب ، أنت حر !

(دمشق) علي الطنطاوي

ولا تملى شرائط الصلح عوامل الخوف أو الطمع ، وليس للحرب إلا خاتمة واحدة هى أن يستقر السلام والعدل

وبين أن حرمة العهود فوق صلة الدين : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » وهو مبدأ يفخر به المسلمون وتعتز به البشرية كلها

وقد أكرم الفرد واحترم كلمته التى يقولها فى تأمين محارب أو إجارة مستجير ولو كان ذلك الفرد عبداً أو امرأة ... واحترم الكلمة ولو لم تكتب ما دام قد سبق عليها اتفاق ، وبين أن الحالة الوحيدة التى يجوز فيها نقض العهد هى حالة التوجس وخيفة الخيانة من المعاهد . وهو نقض يجب الإعلان والنبذ به على سواء .

والحق أن ما فى فصول هذا الباب شىء عظيم جداً يجب أن يوضع على أعين الأشهاد فى المجال الدولى لأنه طريق السلام والأمان . وقد اضطررت إلى خطف بعض مسائله الهامة خطفاً لا يغنى .

فى أسباب الاضطراب العالمى

فى الفصول الخمسة لهذا الباب تتجلى عقلية المؤلف كرجل عالمى مهتم بقضايا الإنسانية كلها مشخص لأدوائها ، واسع المعرفة بدخائل حياتها فى الشرق والمغرب . وإذا كان تشخيص الداء فى الطب هو أول وسائل العلاج ، فإن ذلك صحيح فى الاجتماع أيضاً . وإذا كان ذلك لا يتأتى إلا للملهمين من الأطباء ، فإن هذا لا يتأتى إلا للملهمين من علماء الاجتماع .

لقد حصر الأسباب الرئيسية للاضطراب العالمى فى الاستعمار ، وفى النزاع بين الطبقات على النظم الاقتصادية ، وفى الإفراط فى النزعة الوطنية والعنصرية وإنكار حقوق الآخرين ، وفى طغيان المادية وحب الترف ، وفى انهزام القوى المعنوية أمام القوى المادية مما ترتب عليه تبلبل الأخلاق والعقائد والعرف الصالح ، وفى تفشى فلسفة الكذب والغدر والنفاق فى السياسة .

وقد بين بالوقائع والأسانيد أن الاستعمار خراب وأن فرائسه هى فرسانه ! وأنه سراب لا تملأ أمواجه ملمقة ... وأنه سبب الحروب فى القرنين الأخيرين ، وأنه شر على الغالب وشر على المغلوب فى الغرب وفى الشرق ، وأنه لابد من التضحية به لنجاة الحضارة ، وأن الرسالة الخالدة تنكره وتنكر مبرراته !

أما نزاع الطبقات ، فقد صار فى العصر الحديث عنصراً للاضطراب العالمى بين الفقراء والأغنياء والعمال والصناع والملاك

والمديرين . وقد ضاعف التعقيد العصرى للمذاهب والدعوات فى خطر هذا العنصر ، وكذلك ضاعف استخدام البخار والكهرباء فى عوامل استفحاله بين رأسمالية الآلة والعمال ، وتفرق الناس من أجل فلسفات هذا النزاع بين الشيوعية والرأسمالية والفاشية والنازية والديمقراطية . ولا شىء يستطيع أن يقاوم التعقيد فى هذا العنصر إلا البساطة الدينية فى معالجة مشكلات المال . فقد جعلت للمحروم حقه الثابت فى أموال الناس جميعاً . وهذا المبدأ الثابت يتناوله التنفيذ المرن بحسب الظروف . والقرآن أوجب الزكاة ، وعلى الإمام أن يوجهها حسب الحاجة . وكل مصلحة اجتماعية فهى سبيل الله ، فتشمل التأمين الاجتماعى والصحى مثلا. ولم تكتف هذه البساطة أيضاً بفرض هذا الحق المعلوم فى أموال القادرين للمحتاجين ، بل جعلت الدولة كفيلة على إقامة التوازن الاجتماعى ، سواء أكان بالزكاة أم بغيرها إن لم تكف الزكاة الحاجات العامة . وحيثما كانت المصلحة والعدل فثم شرع الله ودينه . وفى التاريخ الإسلامى أمثلة رائعة لتصرف الدولة حسب الظروف مع عدم تقيدها بالنصوص القرآنية فى أهم المسائل الاقتصادية والسياسية . وقد ضرب منها مثلا فى تصرف أبى بكر فى مساواة السابقين إلى الإسلام واللاحقين فى الأعطية وتفضيل السابقين فى عهد عمر ، ومثلا آخر فى عهد عمر حين رأى عدم تقسيم أرض العراق والشام كفىء على المحاربين وأجرى لهم أعطية من خراجها مع بقائها فى أيدى الأجراء يعملون فيها محافظة على حقوق الذريات والأجيال الآتية ، مع أن النص القرآنى صريح فى تقسيمها كفىء على فاتحيها .

وقد ألزم الإسلام السلطان بمنع النزاع بين الطبقات وبالتأمين والتوازن الاجتماعى بالتهذيب الروحى ومحاربة الترف والبذخ والجمع بين الوجدان والسيف

أما النزعات القومية والوطنية ، فقد صارت عصبية حديثة أوحاها التشدد فى الحدود الجغرافية والجنسية ، وهى نزعات لم تكن بهذا الاستفحال فى العصور القديمة والوسطى حين كانت الدولة الواحدة يشترك فى خدمتها عناصر وأجناس متفرقة كلها ترقى سلم المناصب الرفيعة فيها بحسب المواهب فى خدمتها . فليست هذه النزعات الحديثة سبباً فى الاستقرار بل عاملا لزيادة الاضطراب لأن الحدود السياسية الحالية للأوطان حدود صناعية كثيراً ما تفرق بين جنس واحد وتضم أجناساً مختلفة . وقد مر قرنان على أوربا وقد غرقت فى الدماء من جراء النزاع على الحدود وتحرير الأقليات بين الفرنسيين والألمان ، وبين النمسويين والألمان وبين هؤلاء وهؤلاء والصقالبة ، وبين النمسا وإيطاليا ، وبين البلقانيين جميعاً ، وبينهم وبين الدولة العثمانية وبين روسيا وغيرها من جيران الشرق والغرب ، وبين المجر والتشك والبولونيين والرومانيين .

وقد انتقلت هذه العصبيات إلى الشرق لتأدبه بأدب الغرب ، فعلى سنجق الأسكندرونه خلاف بين سوريا وتركيا ، وعلى شط العرب خلاف بين العراق وإيران ، وقد ابتدأوا ينسون الأدب المحمدى فى النظرة إلى أشبار الأرض ...

وقد لجأت الدول إلى الهجرة الإجبارية فلم يستفد منها أحد ، وحاولت عصبة الأمم حل مشكلات الأقليات فلم تحصل على طائل والإسلام لا يعرف الوطنية والعنصرية إلى هذا الحد الوثنى ، ويضع العلاقات البشرية على أساس معنوى ، فإن الخلاف فيه أخف من الخلاف فى المجال المادى الذى يثير أخس الغرائز وأعنفها وليس لديه اعتراف بسيادة أو عبودية ، بل بالأخوة الشاملة . أما هزيمة القوى المعنوية ، فهى أثر من آثار السيطرة على المادة ، وسرعة التطور المادى وبطء التطور الروحى ، وتباعد الفروق بين الناس تبعاً لحظوظهم من العلم المادى ولعلاج ذلك يجب التوفيق السريع بين الروح والمادة قبل الكارثة الكبرى التى ستهدم الحضارة . والإسلام قد وفق بين الحياتين لئلا تستحيل نعم المادة إلى نقم كما وقع فى الحربين الأخيرتين التى حطمت مدنيتنا مرتين فى ربع قرن . ولا ملجأ للقوى المعنوية إلا بالرجوع إلى منابع الرحمة والهدى فى الأديان

عبد المنعم خلاف